



جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

علاقة الاباء والأبناء في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

إعداد

بلال سليم مصطفى "محمد علي"

إشراف

د. حذيفة هلال بدير

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول دين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين.



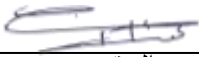
2024

علاقة الاباء والأبناء في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إعداد

بلال سليم مصطفى "محمد علي"

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2024/09/26، وأجيزت:


التوقيع

التوقيع

التوقيع

د. حذيفة هلال بدير
المشرف الرئيسي
د. سهيل الأحمد
الممتحن الخارجي
أ. د. عودة عبد الله
الممتحن الداخلي

الإهداء

إلى سيدي وفداء روجي، رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعلّي أجاوره ويكون شفيعاً لنا يوم القيامة.

وإلى روح أمي وأبي رحمهما الله لعلّ الله يجمعنا بهما في جنات النعيم، وإلى زوجتي وأطفالي وإخواني

وأخواتي، لعلّ الله يحسن إليهم كما أحسنوا إليّ.

وإلى كل المرشدين والأكاديميين في جامعة النجاح الموقرة، وإلى كل كوادر الجامعة، لعلّ الله يقدرني

بالوفاء لهم جميعاً.

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [سورة لقمان: 12].

في البداية أتوجه بالشكر لله عز وجل أن وفقني ويسر لي أمري في كتابة هذه الرسالة، فالحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً يليق بجلاله.

والشكر والتقدير موصول لمن كان له الفضل بعد الله في تيسيري لكتابة هذه الرسالة وهو الدكتور حذيفة هلال بدير لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، حيث قدّم لي التوجيه والرأي السديد، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

وأتوجه بأسمى آيات الشكر والتقدير للدكتور عوده عبد الله عودة لتفضله بمناقشة البحث ووضع ارشاداته المتميزة التي أغنت هذه الدراسة، كما يشرفني أن يتفضل الدكتور سهيل الأحمد بمناقشة هذه الرسالة والذي سأستفيد من خبرته العلمية وآرائه الرشيدة، فجزاه الله كل خير وله جزيل الشكر والتقدير.

والشكر والامتنان لجامعتي، جامعة النجاح الوطنية ولكل العاملين فيها، والشكر والتقدير لكل من خطأ خطوة، أو دعا دعوة، أو قدّم فكرة في سبيل إنجاح هذه الدراسة.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

علاقة الآباء والأبناء في القرآن الكريم دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: بلال سليم مصطفى "محمد علي"

التوقيع: بلال "محمد علي"

التاريخ: 2024/9/26

فهرس المحتويات

ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	الملخص
1	المقدمة
8	الفصل الأول: مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم وخصائصها وأسسها
8	المبحث الأول: مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم
8	المطلب الأول: العلاقة لغة واصطلاحاً
9	المطلب الثاني: الأب لغة واصطلاحاً
10	المطلب الثالث: الإبن لغة واصطلاحاً
11	المطلب الرابع: الاستعمال القرآني لمصطلح (الأب والابن)
16	المبحث الثاني: خصائص العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم
16	المطلب الأول: الوحي مصدر العلاقة بين الآباء والأبناء
24	المطلب الثاني: الفطرة الإنسانية
28	المطلب الثالث: التعبد لله تعالى
30	المطلب الرابع: الثبات والاستقرار
32	المطلب الخامس: الجزء الدنيوي والأخروي
34	المطلب السادس: الإجراءات والإرشادات للمحافظة على تلك العلاقة
37	المبحث الثالث: أسس العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم
37	المطلب الأول: حكم الزواج في القرآن الكريم
39	المطلب الثاني: أسس اختيار الزوج الزوجة
42	المطلب الثالث: أسس اختيار الزوجة الزوج
46	المطلب الرابع: فطرة الإنجاب عند الآباء
50	المطلب الخامس: الزواج الأسرة الإنسانية
58	الفصل الثاني: العلاقة بين الآباء والأبناء ومقاصدها
58	المبحث الأول: واجبات الأبناء على الآباء
58	المطلب الأول: حق الولد في الرضاعة
61	المطلب الثاني: حق الولد في العناية

62	المطلب الثالث: حق الولد في النفقة.....
67	المطلب الرابع: حق الولد في الإحسان إليه.....
68	المطلب الخامس: حق الولد في تربيته.....
72	المبحث الثاني: واجبات الآباء على الأبناء.....
72	المطلب الأول: حق الأبوين في البر والطاعة بالمعروف.....
74	المطلب الثاني: حق الأبوين في الإحسان إليهما عند الكبر.....
76	المطلب الثالث: حق النفقة على الأبوين عند الكبر.....
78	المطلب الرابع: حق السكن للأبوين عند الكبر.....
80	المطلب الخامس: حق صلة الرحم للأبوين في حياتهما وبعد الممات.....
83	المبحث الثالث: مقاصد علاقة الآباء والأبناء في القرآن الكريم.....
83	المطلب الأول: مقصد حفظ الدين.....
85	المطلب الثاني: مقصد حفظ النفس.....
87	المطلب الثالث: مقاصد حفظ النسل.....
90	المطلب الرابع: مقصد حفظ العقل.....
93	المطلب الخامس: مقصد حفظ المال.....
98	الفصل الثالث: نماذج من العلاقة بين الأنبياء والأبناء في القصص القرآني.....
98	المبحث الأول: علاقة الأنبياء بأبائهم وأمهاتهم.....
98	المطلب الأول: قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه.....
100	المطلب الثاني: قصة يوسف عليه السلام مع أبيه.....
101	المطلب الثالث: قصة موسى مع أمّه.....
103	المطلب الرابع: قصة داود وسليمان عليهما السلام.....
104	المطلب الخامس: قصة مريم مع ابنها عليهما السلام.....
106	المبحث الثاني: علاقة الأنبياء مع أبنائهم.....
106	المطلب الأول: قصة آدم عليه السلام مع ذريته.....
108	المطلب الثاني: قصة نوح عليه السلام وابنه.....
110	المطلب الثالث: قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه.....
112	المطلب الرابع: قصة يعقوب وأبنائه.....
113	المطلب الخامس: عائلة عمران وابنته مريم عليهما السلام.....
115	المطلب السادس: قصة لقمان عليه السلام مع ابنه.....
119	الخاتمة.....
120	قائمة المصادر والمراجع.....
B	Abstract.....

علاقة الآباء والأبناء في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد

بلال سليم مصطفى "محمد علي"

إشراف

د. حذيفة هلال بدير

الملخص

قدّمت هذه الدراسة الموسومة (بالعلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم) تعريفاً بالعلاقة بين الأب والإبن، ثم أهم الموضوعات المتعلقة بالعلاقة بين الآباء والأبناء، وتشمل خصائص تلك العلاقة المميزة، والأسس القائمة على تلك العلاقة، وبيان حقوق الآباء والأبناء كلّ منهما على الآخر، وربط كل ذلك بمقاصد الشريعة والضرورات الخمس.

واختتمت الدراسة بنبذة من قصص الأنبياء التي عبّرت عن تلك العلاقة بشموليتها بشكل واضح وجليّ.

وتتكون هذه الدراسة من ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم وخصائصها وأسسها في ثلاثة مباحث وثلاثة مطالب.

والفصل الثاني تناول ثلاثة مباحث عن العلاقة بين الآباء والأبناء، وكان المبحث الثالث عن مقاصد الشريعة من خلال العلاقة بين الآباء والأبناء.

أما الفصل الثالث فجاء في مبحثين، لبيان تلك العلاقة في القصص القرآني.

وهدفت الدراسة إلى بناء مجتمع متماسك وقوي وحمايته من الضعف، ومعرفة الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين الآباء والأبناء ليكون كلّ منهما مدركاً لما له من حقوق وما عليه من واجبات، وارتباط علاقة الآباء والأبناء بمقاصد الشريعة.

وتتبع أهمية هذه الدراسة بأنها وسيلة لمعرفة حقوق الآباء والأبناء بعضهم ببعض، وكيفية تنظيم القرآن الكريم لتلك العلاقة لتحقيق العدل بينهما، القائم على البرّ والإحسان والرحمة والتوّد بالقول والعمل.

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة أن تأثير العلاقة بين الآباء والأبناء على الأسرة وتماسكها يجعل المجتمع الإسلامي متماسكاً وقوياً.

ويوصي الباحث بالمزيد من البحث والدراسة في موضوع مقاصد الشريعة وارتباطها بعلاقة الآباء مع الأبناء.

الكلمات المفتاحية: العلاقة بين الآباء والأبناء، القرآن الكريم، الآباء والأبناء.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي بفضله تتم الصالحات، حمداً طيباً كثيراً كما أمر، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين، وعلى تابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد

العلاقات الإنسانية عامّة هي واجبات شرعية ملزمة، فهي عبادات ينبني عليها الثواب والعقاب، فهي جزء من دين المسلم وعبوديته لله تعالى، وهذه العلاقات متنوعة، إما أن تكون شخصية أو إجتماعية أو مالية أو سياسية، وهي عامّة لأصناف المجتمع كلّها، وقد نظّم القرآن الكريم هذه العلاقات في ظل هذا الدين القيم.

ومما حرص القرآن الكريم على تنظيمه من هذه العلاقات هو علاقة الآباء والأبناء من خلال إيجاد الأسرة السليمة القادرة على تنشئة أبنائها تنشئة سليمة، ثم نظّم العناية والرعاية لكل منهما على الآخر، ووضّح حقوق كل منهما على الآخر، والواجبات التي عليهم تأديتها. فالاهتمام بتلك العلاقة له أهمية كبرى في إصلاح المجتمع الإسلامي وجعله يرتقي في مصاف المجتمعات المتقدمة.

ويرى الباحث أن يكتب في هذا الموضوع تحت عنوان:

علاقة الآباء والأبناء في القرآن الكريم - دراسة موضوعية

سبب اختيار الموضوع

أولاً: الحرص على تقوية العلاقة بين الآباء والأبناء في المجتمع الإسلامي.

ثانياً: جمع الآراء فيما يتعلق من تفاصيل لهذه العلاقة.

ثالثاً: أهمية تلك العلاقة وارتباطها بقضية التربية القادرة على إنشاء جيل يحمل رسالة الإسلام.

مشكلة الدراسة

من خلال النظر في علاقة الآباء والأبناء في القرآن الكريم برز التساؤل الرئيسي الآتي:

ما حدود العلاقة التي تربط بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم

ويتفرع منها الأسئلة التالية:

1. ما هو مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم؟
2. ماذا نعرف عن خصائص العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم؟
3. ما أسس العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم؟
4. ما هي الحقوق المترتبة للآباء على الأبناء في القرآن الكريم؟
5. ما الحقوق المترتبة للأبناء على الآباء في القرآن الكريم؟
6. كيف يتم ربط مقاصد الشريعة بالعلاقة بين الآباء والأبناء؟
7. ماذا نستخلص من العبر في قصص القرآن الكريم التي تختص بالعلاقة بين الآباء والأبناء؟

أهداف الدراسة:

1. إدراك الآباء والأبناء بحقوق بعضهم بعضاً.
2. الاطلاع على تنظيم القرآن الكريم لتلك العلاقة وما يتبعها من واجبات.
3. بناء مجتمع متماسك وقوي وحمائته من الضعف.
4. تحديد الأسس التي تقام عليها هذه العلاقة من الرحمة والعطف والتودد والبرّ بالقول والعمل.

أهمية الدراسة:

1. حماية الأسرة وأفرادها والمجتمع من القطيعة والانفصال فيما بينهما.
2. السعي إلى تغيير العلاقات بين الآباء والأبناء إلى الأفضل.

3. تعميق العلاقة الشرعية التي تربط الآباء بالأبناء.

الدراسات السابقة:

1. (طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء ودورها في الوقاية من الانحراف الفكري) فيصل بن عائض القمي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية، رسالة دكتوراه في العلوم الأمنية، قسم الفلسفة، إشراف الدكتور عبد العاطي أحمد الصياد، الرياض، 1431 هـ، وحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي وهو: ما طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء ودورها في الانحراف

الفكري؟

واستخدم الباحث النظرية المجذرة كإحدى طرق البحث النوعي. وتمثلت أهم النتائج في أنه كلما ضعف الحوار بين الآباء والأبناء ضعف الآباء في وقاية الأبناء من الانحراف الفكري.

واهم التوصيات كانت بإجراء العديد من الدراسات على حالات متشابهة باستخدام نفس المنهجية.

أما الدراسة التي قدّمتها فعالجت الانحراف الفكري عن طريق زيادة الوازع الديني لدى الأبناء والآباء.

2. (القصص القرآني بين الآباء والأبناء)، عماد زهير حافظ، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، رسالة ماجستير، السعودية، (د.ت)، وموضوع الرسالة شغله حيز كبير من قصص القرآن الكريم، حتى يكون لهذه القصص أثر كبير في حياة الأفراد والمجتمعات، وإعطاء تصوّر دقيق عن حدود العلاقة بين الآباء والأبناء.

وكانت أهم النتائج أنه على الآباء إدراك مسؤوليتهم العظيمة تجاه أبنائهم في دعوتهم إلى الالتزام بدين الله. ويوصي الكاتب بأن يُهَيِّم الكتاب العظيم على سائر شؤون الحياة الخاصة والعامة، وإنها لسعادة في الدنيا والآخرة.

أما الدراسة التي قدمتها فتناولت استخلاص العبر والمواظ من خلال القصص القرآني واسقاطها على العلاقة بين الآباء والأبناء.

3. كتاب (حقوق الأولاد على الآباء والأمهات) عبد الله بن عبد الرحيم البخاري، دار ضوء السلف للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.

يرى الباحث أن للأبناء حقوق على آباءهم ينبغي مراعاتها والقيام بها، لأن ذلك مما سيُسأل عنه العبد أمام الله تعالى، ومنها الرضاعة والتربية، والنفقة والتعليم والعناية بهم.

والدراسة التي قمت بها وضّحت العلاقة بين الآباء والأبناء لكلا الطرفين على الآخر، وحقوق كلاً منهما على الآخر.

4. كتاب (علاقة الآباء والأبناء في الشريعة الإسلامية، دراسة فقهية مقارنة)، سعاد إبراهيم الصالح، قسم الشريعة الإسلامية، مؤسسة التعاون للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).

وصف الكتاب: هو ثمرة تأمل في الضمانات التي تكفل بناء أسرة سليمة ومجتمع قوي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد سعت الكاتبة لتعريف المسلمين بأحكام الإسلام في شأن من أجلّ الشؤون وهو هذا الكتاب، وأن المسلمين بخير ما تمسكوا بدينهم والتزموا أحكامه، كما تحدثت عن احكام الزواج والميراث بشكل مفصل.

وأضفت في دراستي خصائص تلك العلاقة وأسساها بالدليل الشرعي من القرآن الكريم.

5. كتاب (فقه التعامل مع الوالدين)، مصطفى العدوي، مكتبة مكة، طنطا، (د.ت)، ويبيّن الكتابات أن التعامل مع الوالدين له فقه ينبغي أن يُدرك وأن يُفهم حتى يكون الشخص على بينة من أمره.

والنتيجة المهمّة في هذا البحث أن فضل برّ الولدين يبلغ بأهله المنازل العليا، والمراتب السامية، وأن العقوق له خطر عظيم وإثم كبير.

وأضفت في دراستي حقوق الآباء والأبناء كلاً منهما على الآخر كما بينت العلاقات الإنسانية داخل الأسرة.

6. (برّ الوالدين في القرآن الكريم، دراسة موضوعية)، الدكتور حامد بن يعقوب الفريح، كلية التربية، جامعة الدمام، مجلة الدراسات القرآنية، العدد 9، 1432هـ.

أهم النتائج في الدراسة أن موضوع برّ الوالدين أولى له القرآن الكريم عناية كبيرة، وقرنه بعبادة الله تعالى وتوحيده، ودعى إليه بطرق متعددة وأساليب متنوعة. وأهم التوصيات أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والتأليف.

أما دراستي فقد جمعت بين برّ الوالدين وبرّ الأبناء من الآباء وناقشت الحقوق المترتبة على بعضهم بعضاً.

7. (حقوق الأولاد على الوالدين في الشريعة الإسلامية) د. محمد مصطفى الزحيلي، المكتبة الشاملة الذهبية، السياسة الشرعية والقضاء.

قام الباحث بتتبع النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية التي أوصت الوالدين بالأولاد خيراً. والنتيجة المهمة في هذا البحث أن تطبيق هذه الحقوق للأولاد تحققت في التاريخ الإسلامي، وظهرت في الأجيال المتعاقبة الفاضلة.

ويدعو الباحث إلى الالتزام بالمنهج التربوي الإسلامي، من خلال تربية الوالدين للأولاد في البيت.

أما دراستي فأضافت عليها حقوق الوالدين على الأولاد وكيف تتم الرعاية والعناية من جهة الآباء للأبناء، ومن جهة الأبناء للآباء.

8. (أسلوب الرفق في خطاب الآباء والأبناء في ضوء القرآن الكريم، النبي إبراهيم عليه السلام أنموذجاً)،
أم أنسام زيد محيي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة ذي قار، قسم المقالات في المجلة الدورية للعلوم
الاجتماعية، عدد 25، العراق، 2021م.

ويسلّط هذا البحث الضوء على الرفق بالمعاملة بين الآباء والأبناء متجسداً بالنبي إبراهيم عليه السلام، فهو
القدوة والمثال الصالح للمسلمين، وحثّهم على الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، مما يؤدي إلى تعزيز
تماسك العلاقات الأسرية.

وقمت بدراستي بالتحدث عن كل الأنبياء الذين ذكرت علاقاتهم مع آبائهم أو أبنائهم في القرآن الكريم،
وتحدثت عن العبر المستوحاة من تلك القصص.

9. (الجوانب الشرعية والخُلُقِيَّة في علاقة الولد بوالديه)، عبد الرحمن بن حسن النفسية، مجلة البحوث
الفقهية المعاصرة، مجلد2، عدد5، مؤسسة البحوث والدراسات الفقهية وعلوم القرآن الكريم الوقفية،
السعودية، 1410هـ.

بيّن الباحث أن نظام الأسرة لم يكن مُجرّد تشكيل من ذكر وأنثى أملتة نزعة فطرية مشتركة، بل هو مبني
على عدد من القواعد، وأن علاقة الولد مع والديه قضية مهمّة في هذا الزمان، وأن ما يحدث من مشكلات
في هذه العلاقة يوجب البحث فيها على نحوٍ أكثر تفصيلاً، ولعلّ أحد الباحثين يولي هذا الموضوع ما
يستحقّه من تفصيل.

وقمت بدراستي بالكتابة عن أسس تلك العلاقة بين الولد ووالديه، حتى يتمّ فهم تلك العلاقة جيداً بين الآباء
والأبناء، مما يساعد على زيادة قوّة العلاقة بينهما.

ما أضافت الدراسة:

والدراسة ستضيف إلى المعرفة الشرعية والإنسانية عدداً من الأمور ذات الأهمية ومنها:

1. معرفة الخصائص والأسس التي تقوم عليها هذه العلاقة.
2. ربط مقاصد الشريعة بالعلاقة بين الآباء والأبناء.
3. بيان التوازن في العلاقة بين الآباء والأبناء بمعرفة حقوق كل منهما على الآخر.
4. معرفة كيفية تنظيم القرآن الكريم لتلك العلاقة وحمايتها من الضعف، وذلك بذكر الآيات القرآنية المشتملة على الأوامر والنواهي والقصص القرآني التي تختص بالعلاقة بين الآباء والأبناء.

حدود الدراسة:

الدراسة تتحدث بشكل موضوعي عن العلاقة بين الآباء والأبناء كما وردت في القرآن الكريم، وأن هذه العلاقة لا تنتهي بموت الآباء أو بكفرهم، فالعلاقة ستستمر بينهم إلا أن يأمرُوا بمعصية فلا يطيعوهم، فهذه الدراسة لها قيود قليلة، وهذه القيود لها شروط معينة كما ذكر سابقاً.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي.

الفصل الأول

مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم وخصائصها وأسسها

المبحث الأول: مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم

من خلال الرجوع لمعاني الألفاظ في معاجم اللغة العربية الأصيلة، سيتم معرفة الألفاظ لغة واصطلاحاً، ومعرفة اشتقاقاتها في هذه الدراسة على النحو التالي:

المطلب الأول: العلاقة لغة واصطلاحاً

لفظ (العلاقة) هو اللفظ الذي سيتم تعريفه وتحديده في هذا المطلب من خلال تعريفه لغة واصطلاحاً، وما يتعلق بهذا اللفظ بالعلاقة بين الآباء والأبناء على النحو التالي:

العلاقة لغة

وعَلِقَ به: "تعلّق به، وعَلِقَ بكسر العين وفتح اللام بمعنى طفق، وعَلِقَ بالكسر النفي من كل شيء، والعلوق ما يعلق بالإنسان، وعلقت الإبل العضاة . العشب . تناولتها بأفواهها".

والعلاقة بالفتح: "علاقة الحب، وأعتقله أحبّه"¹. هي من عَلِقَ، مثل "علقت نفسه الشيء أي لزمه، والعلاقة هي الهوى والحبّ اللازم للقلب، ومثاله: عَلِقَ حُبّها في قلبه".

والعلاقة: "هي ما يتبلغ به من عيش والجمع علائق"² "والعلاقة هي رابطة المحبّة والخصومة ونحوها"³.

¹ الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ، جزء 4، صفحة 1529.

² ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مطابع دار صادر، بيروت، ط5، الجزء 9، صفحة 253.

³ الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، صفحة 653.

العلاقة اصطلاحاً: "شيء بسببه يُستصحب الأول والثاني ويرتبط به، ويكون بينهما أواصر وعلاقات"¹. فالعلاقة هي رابط يربط بين شيئين أو شخصين، أو عدة أشخاص، وتكون ذو رابط طيب فيما بينهم، كما هي العلاقة بين الآباء والأبناء والعلاقات العائلية مع ذوي القربى.

المطلب الثاني: الأب لغة واصطلاحاً

لفظ (الأب) سيتم إعطائه تعريفاً لغوياً واصطلاحياً ثم كتابة خلاصة بمعنى (الأب) بما يوافق المعنى اللغوي والاصطلاحي.

الأب لغة:

(وَأَبُو) "الباء والواو يدل على التربية والغدو، وأبوات الشيء أبوه. أبواً: إذا غذوته وبذلك الأب أباً"².

"وَأَبٌ تَهْيَأً وَتَجَهَّزاً، وَيُقَالُ أَبٌ لِلسَّيْرِ أَي تَجَهَّزَ وَصَرَمَ، وَالْأَبُّ: هُوَ النِّزَاعُ إِلَى الْوَطَنِ، وَيُقَالُ أَبٌ إِلَى وَطَنِهِ، وَالْأَبُّ مِنَ الْإِبَاءِ، وَهُوَ الْإِمْتِنَاعُ بِشِدَّةٍ، وَالْأَبُّ: أَصْلُهُ أَبُو بِالتَّحْرِيكِ، وَالْجَمْعُ آبَاءٌ بِالْمَدِّ، مِثْلُ قَفَا أَقْفَاءَ، وَرَحَى أَرْحَاءَ"³.

الأب اصطلاحاً: هو إنسان تولّد من نطفة إنسان آخر، أو هو كل من كان سبباً لإيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره.

فلفظ الأب له معانٍ كثيرة تدلّ على الجاهزية، والنزعة التي تدلّ على العاطفة، ومصطلح الأب يدلّ على أنه سبب لظهور شيء والعمل على إصلاحه، ويستخلص مما سبق أن معاني الأب كلها تتكلم عن الأصل الذي ينتج فروعاً منه، يقوم على رعايتها وتربيتها.

¹ بصمة جي، معجم مصطلحات الفقه الإسلامي، صفحات للدراسات والنشر، ط1، صفحة 417.

² الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399 هـ، جز1، صفحة 43.

³ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تصحيح أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي، دار إحياء التراث العربي، 1999م، صفحة 60.

المطلب الثالث: الإبن لغة واصطلاحاً

لفظ (الإبن) سيتم تعريفه كما تم تعريف الألفاظ الأخرى، تعريفا يرتبط بالدراسة، بالإضافة إلى تعريفه في اصطلاح الفقهاء .

الابن لغة:

والابن "هو المتولد من أبويه، وجمعه أبناء على صيغة أفعال، وبنون بالواو في الرفع، وبالياء في الجرّ على بنين"¹.

والأبنة بالضم: "العقدة من العود والعصا، وأبان الشيء ظهر واتضح، وأبان فلان: افصح عما يُريد. والابن: لامه منقلبه عن الواو، فأصله بنو وجمع الابن: أبناء، وقد يقال أيضاً: أن لامه منقلبة عن الياء، ويجوز كلا الأمرين"².

"والابن أصله (بني) بالياء لما قيل أن معناه أنه يبني على ما يبني عليه أبوه، ويقال أيضاً: لكل ما يحصل من جهة شيء أو تربيته أو كثرة خدمته، أو قيامه بأمره، أو توجيهه إليه، أو إقامة عليه"³.

والابن: "هو الولد ولامه منقلبة عن الواو، فأصله بنو"⁴.

الإبن اصطلاحاً

والإبن: "حيوان يتولد من نطفة شخص آخر من نوعه". "المعنى الحقيقي للإبن هو الصلبي أي ولد الصلب"⁵.

¹ المطرزي، ناصر بن عبد السيد، المغرب في ترتيب المُعرب، دار الكتاب العربي، مادة ابن، (د.ط)، صفحة 51.

² الكفوي، أيوب بن موسى، الكلبيات، صفحة 24.

³ المصدر السابق، صفحة 25.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، صفحة 60.

⁵ الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، التحقيق: بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403 هـ، جزء 1، صفحة 21.

والإبن في اصطلاح الفقهاء

ولفظ (الإبن) له تعريف عند الفقهاء نوره كالاتي:

"هو مما يكون من نطفة إنسان آخر ذكر أو أنثى، من الطرق الشرعية للنكاح الصحيح". وهو بالنسبة للأب: كل ذكر ولد له على فراش صحيح، أو بناءً على عقد نكاح فاسد، أو وطء بشبهة معتبرة شرعاً، أو ملك يمين¹.

ويظهر لنا أن الإبن هو ما كان فرعاً من الأصل وهو الأب، الذي يتلقى التربية والخدمة من هذا الأصل ويكون من عقد نكاح صحيح. والعلاقة بين الأب وابنه تقوم على الحبّ القلبي وعلى الإعانة في الأمور المعيشية، وأن هذه العلاقة نتيجة للزواج بين الأب والأم.

المطلب الرابع: الاستعمال القرآني لمصطلح (الأب والابن)

الإبن في القرآن الكريم

ورد لفظ ابن في القرآن الكريم للدلالة على النسب لبعض الأبناء والأشخاص كما في وصف عيسى عليه السلام في عدد من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 46].

وكما وصف الله اليهود بأنهم بني إسرائيل في عدد من الآيات كقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 78]. ووصف هارون عليه السلام بأنه ابن الأم لموسى عليه السلام بقوله

تعالى: ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾ [الأعراف: 150].

¹ وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف، الكويت، 1404هـ، دار السلاسل، جزء 1، صفحة 183.

أما صيغة الجمع أبناء فقد وردت بعدة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾ [المائدة:18]. وهو خبر من الله عز وجل عن قوم من اليهود والنصارى أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، فجاءت صيغة الجمع للتعبير عن الجماعة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَبْنَائِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ إِخْوَانِهِمْ﴾ [سورة النور:31]. ولفظ أبناء جاء مقروناً بلفظ بعولتهن وهم أزواجهن، فالأبناء من الأزواج لهم حكم الأبناء الصليبين في جواز إبداء الزينة لهم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَفَتُلَوِّاْ أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة غافر:25]. ولفظ صيغة الجمع (أبناء) ادل على الأولاد من بني إسرائيل، وهذا الأمر من فرعون وملاه بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى عليه السلام.

أما صيغة المثني للفظ (ابن) فقد وردت بصيغة (ابني) في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة المائدة:27].

والأب في الاصطلاح القرآني

"يكون بمعنى العم. قال تعالى: ﴿وَإِلَهُ ءَابَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة البقرة:133].

فإسماعيل عليه السلام كان عمّاً ليعقوب، وتكون بمعنى الجد. قال تعالى: ﴿مِثْلَهُ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة

الحج:78] أي جدكم¹.

¹ الكفوي، الكليات، صفحة 24.

والأبوين هما الأب والأم كما في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبُوكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ وهما آدم وحواء. والابن

في القرآن الكريم يستعمل لابن الزوجة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ [سورة هود: 42] أي

ابن امرأته.

"والأنبياء عند اليهود كانوا يسمون أممهم أبناءهم" مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي

إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة السجدة: 23]¹.

الآيات التي ورد فيها مصطلح الأب في القرآن

وقد ورد مصطلح الأب مفرداً في القرآن الكريم في عدة آيات هي:

1. قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ ابْنِى أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لى﴾ [سورة يوسف: 80]. أي حتى يُعْطيه أبيه الإذن

بالخروج من الأرض التي هو فيها، ولفظ (أبي) تُشير إلى الأب يعقوب عليه السلام، وهو لفظ مفرد

في هذه الآية.

2. قوله تعالى: ﴿فَالْقُوَّةَ عَلَى وَجْهِ ابْنِى بَصِيرًا﴾ [سورة يوسف: 93]. فلقد أعطاهم يوسف عليه

السلام قميصه حتى يلقوه على وجه الأب يعقوب عليه السلام، فيعود بصيراً كما كان، فلفظ (الأب)

ورد مفرداً.

3. قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ابْنِى يَدْعُوكَ لِجَنَابِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [سورة القصص: 25]. أي قالت

المرأة التي جاءت موسى عليه السلام أن أباهما يُريد أن يُثيبك أجر ما سقيت لنا، ولفظ (أبي) هو لفظ

مفرد للأب.

¹ الكفوي، الكليات، صفحة 25.

4. قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد:1]. وهذا دعاء من الله على أبي لهب، فلقد خسرت يدا أبي لهب وتب عمله، وأبو لهب هو لقب له لأنه من أصحاب النار، وقد كان اسمه عبد العزى.

5. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ [سورة يوسف:4]. وهذا ما يقوله يوسف عليه السلام عن الرؤيا التي رآها في منامه، و(الأب) لفظ بصيغة المفرد جاءت في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وأبوه.

ووردت لفظه (أب) ومثاها وجمعها في القرآن الكريم في "مائة وسبعة عشر موضعا في (سبع وثلاثين) سورة قرآنية"، ومثالها الآيات التالية في صيغة المثني:

1. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [سورة الكهف:82]. فهما ولدان إثنان، وقد حفظهما الله نتيجة صلاح أبيهما، وذلك بعد أن توفي الأب.

2. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [سورة الكهف:80]. ولفظ أبواه تدل على الأب والأم، وهذا ما قصدته في هذا البحث بلفظ الآباء، فلقد كان الغلام كافرا مستكبرا على الله، بخلاف أبيه وأمه المؤمنين.

3. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [سورة يوسف:99]. ولفظ أبويه تدل على أن أم يوسف عليه السلام كانت برفقة يعقوب الأب عليه السلام حيث ضم الأم والأب إضافة إلى إخوته.

وأما صيغة الجمع فهي في الآيات التالية ومثالها

1. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة:170]. يعني

آباء هؤلاء الكفار الذين يأتهم بهم أبناؤهم فيقلدوهم على كفرهم، ولفظ آباؤهم جاءت بصيغة الجمع لفظ الأب.

2. قوله تعالى: ﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [سورة الواقعة:48]. وهذا سؤال من الكفار يُظهر الكفر منهم بالبعث وإنكاراً لإحياء الله لأبائهم الذين كانوا قبلهم، ولفظ (أباؤنا) تدلّ على الآباء والأجداد معا.
3. قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [سورة البقرة:200]. والله تعالى في هذه الآية يأمر المؤمنين أن يكون ذكركم بالثناء والتعظيم لربهم كما يذكرون آباءهم أو أشدّ، وذلك بعد الانتهاء من مناسك الحج، وصيغة الجمع للأب جاءت لتشمل الأب والجدّ، فذكر الله أفضل من ذكر الآباء.
4. قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الشعراء:26]. أي قال لهم موسى عليه السلام، هو ربكم الذي خلقكم وخلق آباءكم من قبل، ولفظ صيغة الجمع (آباء) تعني الآباء والأجداد حتى آدم عليه السلام.
5. قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الدخان:36]¹. وكفار قريش في هذه الآية يُنكرون المحيا من بعد الممات، فهم يريدون بعث آبائهم من القبور حتى يؤمنوا، فالآباء في هذه الآية هم الآباء والأجداد الين ماتوا وبلبت أجسادهم.

¹ رضوان، إيمان فايز، لفظة (أب) في القرآن الكريم، دراسة نحوية إحصائية، مجلة بحوث كلية الآداب، (د.ت) جامعة دمنهور، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، صفحة رقم 253.

المبحث الثاني: خصائص العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم

تقوم العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم على جملة من الخصائص التي ميّزت تلك العلاقة بالكثير

من الميزات الجديرة بالاهتمام وهي كالآتي:

المطلب الأول: الوحي مصدر العلاقة بين الآباء والأبناء

هذه العلاقة أخير عنها الوحي في عددٍ من الآيات الكريمة، وسيتم جمع الآيات وبيانها على سبيل

الاستقراء على النحو التالي:

ما يختصّ بتلك العلاقة ما قبل الإنجاب في القرآن الكريم

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة: قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [سورة

النور:32].

ووجه الدلالة من هذه الآية: أنها تُبيّن العلاقة بين الآباء والأبناء منذ بدايتها المتمثلة باختيار الزوجة قبل

إنجاب الأبناء، فالعنوان الأول لعلاقة الزواج هو الصلاح، سواءً صلاح الزوج أو صلاح الزوجة، فالله

تعالى يأمر: "أن زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم من أهل الصلاح"، فالله

عز وجل أمر بالنكاح ورغب فيه، وأمر أن زوجوا من النساء اللاتي ليس لهن أزواج¹.

وتخصيص الصالحين بإحسان دينهم والاهتمام بشأنهم، "وقيل المراد به الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه،

والنهي عما عسى أن يُفضي إلى السفاح المُخلّ بالنسل وهذا يقتضي الألفة وحسن التربية، ومزيد من

الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع، فأمر بالنكاح الحافظ له"².

¹ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ، جزء19، صفحة 116.

² البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ، صفحة 105.

ثانيا: المهر وحكمه: قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَارِيضَةً﴾ [سورة النساء:24].

وجه الدلالة في هذه الآية: هي للتبعات المالية الواجبة على الأباء قبل الزواج، "وفريضة تعني حُكماً بتقدير الله، فكما تستمتعون بهن فأتوهن مهورهن في مقابل ذلك"¹. فالمهر للزوجة يجعلها راضية بهذا الزواج الذي سيكون سبباً لسعادة الأسرة بما فيهم الأبناء مستقبلاً، فهو يؤسس لعلاقة حسنة بين الأباء والأبناء.

والآية قرّرت دفع المهور وجعلته شرعاً، "فصار المهر رُكناً من أركان الزواج في الإسلام، وقد تقرر ذلك في عدة آيات" لأن عادة بعض العرب كانت بأكل وليّ المرأة مهرها ولا تأخذ منه شيئاً، فأبطل الله ذلك في الإسلام بأن جعل المال للمرأة².

"فهو فريضة من الله فرضها في مال الزوج للمرأة، ولا بد أن يكون شيئاً معتبراً عند كل من الزوج والزوجة، فهو تبادل لعواطف المودة والمعروف بين الزوجين، الأمر الذي ينتظم به شكل الأسرة وتقوم عليه سعادتها، وإيتاء الأجر عنه يكون بما يحققه الزواج للرجل من سكن نفسي وأنس روحي، وفرة عين بالبنين والبنات"³.

ثالثاً: فطرة الإنجاب والذرية: قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [سورة الكهف:46]. وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُو

وَزِينَةٌ وَقَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [سورة الحديد:20].

وجه الدلالة في هذه الآية: أن الأموال والأولاد تفاخر وزينة "يتزيّن بها الإنسان في دنياه وتقنى عنه عما قريب"⁴.

¹ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، جزء2، صفحة 226.

² ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، 230/4.

³ الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، 739/63.

⁴ البيضاوي، أنوار التأويل وأسرار التنزيل، 283/3.

والمال والبنون زينة الحياة الدنيا، لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي الأبناء قوة ودفعاً، والمعنى أن "المال والبنون زينة في الحياة المحترقة فلا تتبعها نفوسكم، والحياة الدنيا وزينتها هي غرور يمر ولا يبقى كالهشيم حين ذرته الرياح، وإنما يبقى ما كان من زاد القبر وعدة الآخرة"¹.

ما يختص بتلك العلاقة بعد الإنجاب في القرآن الكريم

أولاً: النسب وما يترب عليه: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝﴾ [سورة الفرقان: 54].

وجه الدلالة في هذه الآية: أنها تُظهر علاقة النسب التي تربط الآباء مع الأبناء، فهي من أهم العلاقات التي تقوم على حفظ الأسرة، فحق الابن على والديه أن ينسب إليهما، ويتم إثباته بالزواج الصحيح، "فزوج الأب بالأم كفيل بإثبات النسب للأبناء دون الحاجة إلى اللجوء إلى طرق إثبات النسب بالفراسة، أو القيافة، أو الفحص المخبري"².

والله خلق من النطف بشراً فجعله نسباً، وحدد الوحي النسب بسبعة وهم: "الأمهات، والبنات، والأخوات، والعمات، وبنات الأخ، وبنات الأخت"³، فهذه دلالة على علاقة النسب التي تربط الآباء مع الأبناء الذكور والإناث، فالآباء هم السبب لوجود هؤلاء الأبناء.

ثانياً: العناية بالرضيع: قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَسِّمَ الرِّضَاعَةَ ۗ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [سورة البقرة: 233].

وجه الدلالة في هذه الآية الكريمة: هو التذكير والتنبيه للعلاقة مع الأبناء في فترة الرضاعة التي تعتبر أول أساليب الرعاية الصحيحة للأبناء، وذلك بتغذيتهم التغذية السليمة، ويذكر القرآن الكريم الرضاعة في عدة

¹ القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طقس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، جزء10، صفحة 413 و414.

² وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية، مطابع دار الصفاة، مصر، ط1، 1404هـ، جزء34، صفحة92.

³ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 284/19.

آيات توصي بالرضاعة وتحض عليها، وذلك بالأمر من الله تعالى لتمام الرضاعة حولين كاملين، وانقضاء مدتها.

"وأنه عليكم مخافة الله فيما أوجب عليكم لأولادكم فاحذروا أن تخالفوه في ذلك وفي غيره من الحقوق" حيث يقول في آخر الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة البقرة: 233].¹

ثالثا: التربية السليمة: قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 24].

وجه الدلالة في هذه الآية: "أن التربية الصالحة من الآباء المؤمنين للأبناء تبدأ منذ الصغر، فهي علاقة مُمَيِّزة خصَّها القرآن الكريم بالذكر لها، فالآباء قاموا بالتربية لأبنائهم وهم صغاراً، وخصَّ التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية"².

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم: 6].

ووجه الدلالة لهذه الآية: "أن الوقاية من النار والعياذ بالله تكون من خلال التربية الأخلاقية للأبناء التي اهتمَّ بها القرآن وعالجها من خلال التأديب وتهذيب العيوب، وزرع المحبة بين الآباء ولطف معاملتهم، وجميل التنبيه إلى زلاتهم، وحسن التنبيه إلى واجباتهم، والتقليل من استعمال الضرب لهم كوسيلة للتأديب"³.

ما يختص بتلك العلاقة بالحقوق المالية لكلا الطرفين:

النفقة لكل منهما على الآخر: قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ

اللَّهُ ۗ﴾ [سورة الطلاق: 7].

¹ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 236/10

² المصدر السابق، 76/5.

³ المصدر السابق، 542/2.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة: 215].

وجه الدلالة في هاتين الآيتين: هي وجوب النفقة للأبناء وللآباء كلاً منهما على الآخر.

والآية الأولى هي أصل في وجوب النفقة للأبناء يقدمها لهم الآباء، وكذلك لوجوب النفقة على الزوجات، أي "لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر سعة الزوج، فيوسع عليهما إذا كان موسعاً، ومن كان فقيراً فعلى قدر ذلك" فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة للمنفق عليه، بالاجتهاد على مجرى حياة العادة"¹.

ما يختص بتلك العلاقة بالحقوق المعنوية

أولاً: العدل في التعامل بين الآباء والأبناء، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْأَقْسَطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة النساء: 135].

وجه الدلالة في هذه الآية: أن العلاقة بين الآباء والأبناء يجب أن تكون قائمة على العدل والقسط بجانب البر والإحسان إلى بعضهم بعضاً في جميع التصرفات.

"فيكونوا مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته شهداء بالحق، يقيمون شهادتهم لوجه الله تعالى، لأن الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره أو الوالدين والأقربين"².

والعدل والقسط يكون "بأن لا يعدلوا عن العدل، ولا يصرّفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه، وشهادتهم خالية من التحريف والتبديل والكتمان"³.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، جزء 18، صفحة 170.

² البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 2/102.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/433.

"والشهادة بالحق على النفس أو على والديه أو أقاربه ليس فيها مسبة أو معرة أو تأثيم، فهي لا تتعارض مع البرّ والإحسان إلى الوالدين لأن العدل في الحكم وأداء الشهادة بالحق هو قوام صلاح المجتمع الإسلامي"¹.

ثانياً: التوصية بالوالدين: قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان: 14].

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف: 15].

ووجه الدلالة في هاتين الآيتين: هو بيان فضل الوالدين على الأبناء، فيوصي الله تعالى ابن آدم بوالديه الحُسن في صحبته إياهما أيام حياتهما، والبرّ بهما في حياتهما وبعد موتهما، لما كان منهما إليه حملاً ووليداً وناشئاً، ويصف الله جل ثناؤه ما لديه من نعمة أمه عليه، وما لاقته منه في حال حمله ووضعه، ونبه على الواجب لهما من البرّ واستحقاقهما عليه من الكرامة وجميل الصحبة، فهي حملته في بطنها كُرْهاً أي مشقة، وولدتها كُرْهاً أي مشقة².

وبعد الوصية بالوالدين جاء التعليل لتلك الوصايا، وهو أن أمه حملته وهناً على وهن "وتعليل الحكم هنا يفيد التأكيد لتلك الوصايا، وذكر الأحوال الخاصة بالأم تقتضي الوصية بالأب أيضاً للقياس" فإن الأب يُلاقى مشاقاً وتعباً في القيام على الأم لتتمكّن من الشغل في مدة حضانة الأبناء، ثم هو يتولى تربيته والذبّ عنه حتى يبلغ أشده³.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 226/56، 224.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 111/22.

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 158/21.

ثالثاً: البرّ والإحسان بالوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإسراء: 23].

وجه الدلالة في هذه الآية: هو أن حكم الله للناس بأمره إياهم إلا يعبدوا الا الله وبالوالدين أن يحسنوا إليهما "أي فصل الحكم فيه بين عباده بأمره إياهم بذلك"¹.

وجعل برّ الوالدين مقروناً بعبادته وتوحيده سبحانه، فإن الله عز وجل قرن حقّ الوالدين بالتوحيد، لأنّ "النشأة الأولى من عند الله، والنشأة الثانية هي التربية من جهة الوالدين" فحقّ الوالدين يكون بمعاشرتهم بالمعروف والتواضع لهما، وامتنال أمرهما والدعاء بالمغفرة بعد موتهما وصلة أهل ودهما"².

وقال تعالى: ﴿* وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [سورة النساء: 36].

وجه الدلالة لهذه الآية: يكون بأن لا تجعلوا لله عز وجل في الربوبية والعبادة شريكاً تعظمونه كتعظيمكم لله سبحانه وتعالى، وبالوالدين إحساناً، أي برّاً بهما، "لأنه أمر فيه جل ثناؤه بلزوم الإحسان إلى الوالدين على وجه الإغراء، وقد قال بعضهم "واستوصوا بالوالدين إحساناً"³.

"قد قرن جل ثناؤه عبادته وعدم الإشراك به بالإحسان للوالدين، فالله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وبرّ الوالدين، والآيات في ذلك كثيرة، فالله سبحانه وتعالى جعلهما سبباً لخروجك أيها الابن من العدم إلى الوجود"⁴.

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 542/2.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 13/2.

³ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 334/8.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 36/3.

رابعاً: وجوب برّ الوالدين المشركين: قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان:15].

ووجه الدلالة: أنه لا تطعهما إن طلبا منك الإشراف بالله ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما.

وصاحبهما في الدنيا معروفا، اي: "صاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيما بينك وبين

ربك من الاثم"¹.

خامساً: الأبناء قد يكونون سبباً للمعصية قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدُوًّا لَكُمْ

فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [سورة التغابن:14].

وجه الدلالة: "أن الأزواج والأولاد يكونون أعداءً للآباء عندما تحمل المودة من الآباء للأبناء على أن

يأخذوا لهم الحرام فيعطوه إيّاهم، والآية عامّة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد، ومن

للتبعض، لأنه كلهم ليسوا بأعداء واحذرهم أي لا تطيعوهم في معصية الله"².

سادساً: عدم نكران الجميل للوالدين: قال تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَهِي الْمَصِيرُ﴾ [سورة

لقمان:14].

وجه الدلالة: أن الآية الكريمة تُبيّن مضمون الوصاية وهو الشكر لله وللوالدين، وشكر الله سبحانه لأنه هو

الخالق وحده، أما الوالدين ما هما إلا أداة من الأدوات العاملة بقدرة الله تعالى وأمره، وهو عمل يجزيهما

الله عليه وهو حق من الله جعله الله تعالى لهما على أبنائهما، فضلاً من الله سبحانه وإحساناً، وقوله

تعالى: [إِلَهِي الْمَصِيرُ] هو "تنبيهه إلى هذا الحق الذي للوالدين على الولد، وأنه إذا قصر في أدائه لهما فإنه

سيحاسب عليه يوم الحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين"³.

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 11/20.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 142/18.

³ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 422/16.

سابعا: الصلاح بين الآباء والأبناء: قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الرعد: 23].

وجه الدلالة من هذه الآية: أن الإنسان يطمع أن تكون له ذرية سالحة، والصلاح في الدنيا يكون بإيمانهم بالله واتباعهم أمره، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ أي من آمن منهم¹.

فيجمع الله تعالى بينهم وبين أحبائهم فيها، من الآباء والأبناء والأهلين، لتقر أعينهم لهم، "فيرفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى من درجته"².

وتمثل هذه الآيات التوجيهات والأحكام التي وردت في العلاقة بين الآباء والأبناء من خلال الوحي الذي نظم تلك العلاقة وجعلها مُمَيَّزة بأنها وحي من الله، وعلى البشر اتباعها وتنفيذها بدون تردد.

المطلب الثاني: الفطرة الإنسانية

الفطرة الإنسانية هي ميزة مهمة، وعامل من العوامل التي تؤثر في العلاقة بين الآباء والأبناء باتجاه الخير والإحسان لكل منهما على الآخر، بشرط أن لا يؤثر عليها الهوى، وعدم الإخلاص، فيتم إبطال تلك الفطرة السليمة.

والفطرة الإنسانية منحة ربانية، وخلق رفيع يتصف به صاحب هذه الفطرة، وتكون عند الإنسان فطرة سليمة تحمل في ثناياها الإيمان الصحيح، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهذه الفطرة تتفق مع الواقع والظروف الحياتية على مر العمر، فإذا ابتعد الإنسان عنها فإنه يتجه للكفر والمعصية والعياذ بالله. قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [سورة الروم: 30].

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 423/16.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 387/4.

طبيعة التوصيات التي وردت في القرآن الكريم للأبناء على الآباء

ودين الإسلام دين الفطرة، فجاءت أحكامه وشرائعه تتوافق مع الفطرة الإنسانية، وخاصة تلك التي تخصّ العلاقة بين الآباء مع الأبناء، فهذه العلاقة تقتضي المعاملة بالحسنى، والفطرة تستوجب أن يكون الإنسان ذليلاً لوالديه رحمة منه لهما، فعليه أن يخفض جناح الذل لهما، بطاعتها ما لم يكن معصية لله، "فهذا ليس ذلّ إهانة، وإنما ذلّ نابع من الفطرة السليمة التي يتمتع بها الإنسان المؤمن، فتكون فطرته صادقة صحيحة". وكيفية الذل لهما بأن يكون الإنسان ليناً سهلاً ولا يغلظ لهما بالقول ويقول لهما الخير، ويبذل لهما كل ما ملك، فلا يكن بخيلاً معهم، "فالذل للوالدين لمن عنده سلامة في الفطرة هي تكريم إلهي للإنسان، وأصل مستقر في فطرة الإنسان"¹. قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [سورة الإسراء:24].

وطبيعة الإنسان المتعلقة بفطرته هي أنها لا تسمح له نفسه أن يتعرض أبواه لأي نوع من الظلم أو سوء المعاملة، سواءً منه أو من غيره، فتدفعه فطرته للدفاع عن الوالدين والوقوف معهما إذا تعرضا لواقع أو ظروف سيئة ومهينة، خاصة إذا كانوا كباراً في السن².

علاقة الفطرة بالأحوال والظروف

والفطرة الإنسانية تجعل الإنسان يولد وفي قلبه توحيد الله، فإنها تجعله قريب لأبويه أيضاً، مرتبط في حياته بهما، وكما يحدث الاختلاف في التوحيد والدين مع مرور الزمن، وباختلاف الأحوال أيضاً، فإن العلاقة بين الآباء والأبناء تختلف مع اختلاف الأزمان والأحوال. وحتى لا تغيرها الأحوال والظروف لا بد لها من الإخلاص والتقوى. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم:30].

¹ البصري، الحسن، تفسير الحسن البصري، تحقيق: أحمد فريد الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، جزء 1، صفحة 488.

² المصدر السابق، 488/1.

فالناس ولدوا على الفطرة واختلفوا بعد الفطرة، فقاموا بإبطال الفطرة السليمة ووقعوا بالخسران يتضییع الفطرة الأصلية التي فطر الله عز وجل الناس عليها¹. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة يونس:19].

"والفطرة الإنسانية يُنازعها الهوى والتقليد، وعدم الإخلاص والتقوى، واختلاف الأحوال والظروف"، وحتى لا تؤثر تلك العوامل على العلاقة بين الآباء والأبناء علينا أن "تجعل الفطرة جليةً نهدي بها ونجعلها حجةً لنا نُطهر قلوبنا عن طريقها". قال تعالى: ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [سورة البقرة:137]. فهذه الفطرة هي حال الوالدين مع أبنائهما والتي تقتضي معاملة الآباء بالحسنى².

الفطرة تتطلب ردّ الجميل للآباء

والفطرة الإنسانية تتطلب من الابن أن يشعر بأنه مدين لوالديه بالكثير، فهما اللذان اعتنيا به حين كان صغيراً لا يقوى على القيام بشيء من احتياجاته، هذا فضلاً أنهما كانا سبباً في وجوده، فهذا يدفع الإنسان إلى ضرورة الإحسان بالآباء في جميع أحوالهما، وبالذات حين يضعفهما الكبر في السن. فالرحمة للآباء من الأبناء هي فطرة من هؤلاء الأبناء، ورحمة عظيمة من نعم الله علينا، "فلولاها لانتشر العقوق والظلم والإساءة للوالدين، فالقرآن ينظمها ويُطهرها"، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [سورة الروم:30]³.

¹الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعراجه، تحقيق: عبد الجليل شليبي، عالم الكتب للطباعة، بيروت، 1988م، ط1، الجزء3، صفحة 12.
²البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوارالتنزيل وأسرار التأويل 109/1.
³فريق العمل في الموسوعة، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الناشر مركز تفسير الدراسات القرآنية، الرياض، 2019م، المجلد 7، صفحة 61.

طبيعة التوصية جاءت للوالد بالوالدين وليس العكس

والآباء يندفعون بالفطرة إلى رعاية الأبناء، والتضحية بكل شيء، وبذل كل جهد واهتمام من الآباء الذين لا يحتاجون إلى توصية على أبنائهم، فالتوصية جاءت في القرآن الكريم للأبناء. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۗ﴾ [سورة العنكبوت: 8].

فالله عز وجل جَبَل الوالدين بالشفقة على أبنائهم عن طريق الفطرة، وهذا النوع من الفطرة يكون أكثر عند الأمهات، فهناك فرط في حنانها وشفقتها فهي التي حملت به وأنجبتة. قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَنِي وَهْنًا﴾ [سورة لقمان: 14].

"والفطرة هي نعمة من الله عز وجل تتضمن خصال كثيرة منها الفطنة وسلامة الضمير" وغيرها، وهي تورث في الأبناء من الآباء، فيتوارث الأبناء أخلاق الآباء وشمائلهم، فيحدث الوفاق في الطباع والأخلاق والأهواء والأميال، فهي ميل طبيعي ينشأ عن الملازمة وكثرة المخالطة للأبناء، فشدة هذا الميل تختلف من شخص لآخر بالنسبة للآباء. والفطرة عند الآباء تُؤدِّد المحبة للأبناء، بإعطاء طابع وجداني يُشعر أن الأبناء قطعة منهما ليكون ذلك مدعاة للمحافظة عليهم، فهم جيل المستقبل وبقائه بقاء النوع¹.

والمحافظة عليهم تكون "بالاستقامة والصلاح للآباء الذي ينشأ عنه دوام الاستقامة في النسل وهم الأبناء، فينقلون ما في آباءهم من الأحوال الخُلُقِيَّة والخَلْقِيَّة لما بعدهم، فيكون الأبناء على أحوال مساوية لأحوال سلفهم من الآباء". قال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [سورة الروم: 30]².

فالفطرة الإنسانية التي خلق الله عز وجل الناس عليها جعلت العلاقة بين الآباء والأبناء علاقة إيجابية مبنية على الإحسان والبر والخير لكلا الطرفين، فكانت هذه الخاصية تدعم هذه العلاقة بالاتجاه الصحيح طوال العمر دون أن تؤثر عليها العوامل السلبية المتنوعة التي تم ذكرها في هذا المطلب.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 75/29.

² المصدر السابق، 305/2.

المطلب الثالث: التعبّد لله تعالى

العلاقة بين الآباء والأبناء تقوم على الأخلاق الحسنة، فهي عبادة ذكرها الله عز وجل مقرونة بعبادته في كثير من الآيات في القرآن الكريم.

"فالعبادة هي خلوص النفس لله تعالى والاتجاه إليه وحده، والإخلاص في كل ما نعمل، وهي التذلل والخضوع على أبلغ الوجوه، والعبادة تكون لله عز وجل بالزواج، وبالإنسال والإنجاب وعبادته في النفقة والرضاع والفصال، وعبادته جلّ ثناؤه في كل حركة وفي كل خطوة"¹.

وعلاقة الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم ربطها الله عز وجل وقرنها بعبادته وحده، فقد أمر بالإحسان إلى الآباء بعد الأمر بإفراجه بالعبادة، فهذه العلاقة لها خاصة مميزة، وفي هذه دلالة على تعظيم الإحسان والبر للآباء، ووجوب هذا البر على الأبناء، وجعل هذا الواجب العنوان الرئيسي للعلاقة بين الآباء والأبناء. قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا سَهْرَهْمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: 23]².

فعلاقة الآباء بالأبناء كعبادة، هي من أقرب القربان لله جل ثناؤه، "فهي مخصوصة بخواص لا تحصل في غيرها من أنواع القرابة، وميزها الله تعالى في الذكر والتكرار عن سائر أنواع القربان"، قال تعالى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة النساء: 36].

فلا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من برّ الوالدين، وأن عقوق الوالدين يُعتبر كبيرة من الكبائر عند أهل التأويل، لأن البرّ بالوالدين جاء مقروناً بعد عبادة الله وعدم الإشراك به³.

والعلاقة الحسنة بين الآباء والأبناء هي من الأخلاق الحسنة التي دعا إليها القرآن الكريم في كثير من الآيات، "فهي كخلق مُتعبّد به فوق العدل، فتكون أعلى مرتبة في الرحمة والرأفة والوفاء والنهي عن

¹الشاربي، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1412 هـ، الجزء 1، صفحة 238.

²المصدر السابق، 3596/6.

³الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ، الجزء 15، الجزء 21، صفحة 76، و518.

الإساءة، والتمسك بها عبادة خالصة لوجهه الكريم" قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: 23]¹.

مظاهر العلاقة بين الآباء والأبناء في دائرة العبادة

أولاً: النفقة من العبادات المالية من خلال العلاقة بين الآباء والأبناء، فهي علاقة مالية بينهم، والإنفاق يكون على بعضهم البعض، فالآباء ينفقون على أبنائهم في الصغر، والأبناء ينفقون على آبائهم في الكبر. قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة: 215]².

"فالأية تُقرّر وتوجب النفقة للآباء في المرتبة الأولى، فهم أحقّ الناس في النفقة التي تشمل المأكل والملبس والسكن، وتقديم كل ما يحتاجه من مال". والنفقة للأبناء يُقرّرها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: 233]. فالنفقة واجبة على الطرفين، وهي من أعظم البرّ الذي يكون بين المنفق والمنفق عليه³.

ثانياً: الدعاء من الآباء والأبناء لبعضهم بعضاً: والعبادة تظهر في العلاقة بين الآباء والأبناء من خلال الدعاء بين الآباء والأبناء. قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة غافر: 14]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 24].

والدعاء بمعنى العبادة وهو إظهار غاية التذلل والافتقار والاستكانة. وقد رغب الله عباده بالدعاء ووعدهم ببالغ رأفته ورحمته وكرمه. ويكون الإلحاح بالدعاء والاستمرار فيه حتى بعد الممات للمدعو له. قال تعالى:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [سورة إبراهيم: 41]. وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان: 14].

¹ أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، الجزء 5، صفحة 2729.

² مركز تفسير للدراسات القرآنية، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، 2019، مجلد 6، صفحة 39.

³ المصدر السابق، صفحة 39.

"فمن دعا لوالديه في إدبار الصلوات فقد شكرهما". وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران:191]. ويكون الذكر بالدعاء للوالدين وللمؤمنين جميعاً في كافة الأزمان والأماكن¹.

ثالثاً: الرعاية للأبناء: والغاية من العبادة هي طاعة الله وطلب رضاه بشكل عام، أما فيما يخصنا بالعلاقة بين الآباء والأبناء فالعبادة ثمرة مهمة، وهي "إعداد المسلم للقيام بوظيفته منذ الطفولة لإيجاد نفوس خالصة من شوائب الدنيا وقلوب متعلقة بالله، زاهدة في حطام الدنيا الفانية، حتى تكون قادرة على مواجهة الصعوبات والتسامي على المغريات، وتربية الأبناء وتهذيبهم على معاني الصدق والوفاء والرحمة والإخلاص والأمانة. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه:132]².

وسنوفي ذلك الموضوع حقّه في الفصل الثاني من خلال بيان حقوق الآباء على الأبناء، وحقوق الأبناء على الآباء، فهذه حقوق مرتبطة بعبادة الله تعالى، فهي واجبات لكل من الآباء والأبناء على بعضهم بعضاً.

المطلب الرابع: الثبات والاستقرار

الشريعة الواردة في آيات القرآن الكريم هي ثابتة لا تقبل الإلغاء ولا التبديل والتغيير، لأنها جاءت لخدمة البشر وموافقة لهم، وحين أمر الله تعالى بالبر والإحسان إلى الآباء في هذه الشريعة كان هذا الأمر يتصف بما تتصف به هذه الشريعة المستمدة من آيات القرآن الكريم، فهي خالدة وباقية إلى قيام الساعة.

فالدستور الأخلاقي في الإسلام ومما يتضمنه من مبادئ يحافظ على ثبات تلك المبادئ وديمومتها على مرّ العصور، فهي صالحة لكل زمان ومكان. ويُشَدّد الدستور الأخلاقي للمسلمين بالحفاظ على العلاقة الحسنة بين الآباء والأبناء بكلا الاتجاهين على مرّ الزمن للآباء والأبناء في طفولتهم وشبابهم وتقدمهم في

¹ القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 277/19.

² السيد، عزمي طه وعدد من المؤلفين، مقرر الثقافة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة، ط4، 2008م، صفحة 152.

السن، فلا يجوز التراخي في هذه العلاقة مع مرور الوقت، فالبرّ والإحسان للآباء والأبناء يبقى قوياً لا يهزه شيء، ويتصف بالتجديد ويكون دائماً طوال الحياة، وله صفة الديمومة المطابقة للشريعة القرآنية الحقّة.

الاتصاف بتلك المبادئ من البرّ والإحسان في العلاقة بين الآباء والأبناء تكون ثابتة لا تتغير ولا تخضع للأهواء والمصالح الشخصية، فإذا كانت غير ذلك فهي كالتّي نقضت غزلها بعد قوة أنكاثاً، والسبب في ذلك أن كلا منهما يعتمد على الآخر في حياته، فهناك تكامل وتوازن بينهما طوال سنوات العمر، فالآباء يعتنون بالأبناء في صغرهم وشبابهم، والأبناء يقومون برعاية آبائهم في كبرهم¹.

والعلاقة بين الآباء والأبناء هي جزء من الدين، وفرض من رب العالمين باتجاه كل منهما للآخر، الذي حفظ دينه عامة، فهذه العلاقة لا يجب التقصير بها بأي شكل من الأشكال. فالله عز وجل كتب على نفسه حفظ هذا الدين، والثبات والديمومة على هذا الدين، هو أمرٌ لا نقاش فيه، فهي خاصية من خصائص الشرع لا ينبغي نقضها أو التعديل بها، وهذا ما ينطبق على العلاقة بين الآباء والأبناء، فهي واجبات شرعية ملزمة، وهي عبادات يؤجر عليها ويحاسب على تضييعها، وتعتبر جزء من الأداة لارتباط الناس بعضهم ببعض، وأسلوب في حياتهم الاجتماعية. والثبات والديمومة تُعطي هذه العلاقة الحق المقدس للآباء في احترام أولادهم وخضوعهم لهم مدى الحياة، فهذا الحق يخولهما سلطة غير محدودة وغير مشروطة إلا أن يأمرُوا بمعصية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبَلِّغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [سورة الإسراء:23].

فالبرّ والإحسان من الواجبات التي تستمر بثبات ودون تغيير حتى يبلغ الآباء الكبر في السن ثم الوفاة. فهذه العلاقة يتحملها الأبناء على كاهلهم أمام الله تعالى بالإلزام منه عز وجل وبالالتزام الذاتي من الأبناء فيما بعد بتدخل إرادي منهم، لا يتأثر بمن حولهم من الأقوال أو التدخلات التي تمنع من استمرار هذه العلاقة فيما بينهم، وقد تصدر هذه الأقوال والدوافع من الأقارب أنفسهم بعدم تأدية الواجبات المالية والرعاية

¹درار، محمد بن عبد الله، الأخلاق في القرآن، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة 10، الجزء 1، صفحة 2.

لهؤلاء الآباء¹. فالثبات والاستقرار في هذه العلاقة مِيزة مهمة، لأنها تحافظ على ديمومة تلك العلاقة بين الآباء والأبناء، بحيث لا تصبح ضعيفة مع مرور الوقت نتيجة للعوامل المذكورة آنفاً.

المطلب الخامس: الجزاء الديني والأخروي

إن العلاقة بين الآباء والأبناء قائمة على التراحم فيما بينهم والعطف والتودد، وعدم التناقل من تقديم الخدمة لبعضهم البعض والعناية بهم، وتلبية جميع رغباتهم، وذلك لكلا الطرفين، فهو تراحم مُتبادل، وأداء تلك الواجبات ترتب عليه الجزاء والثواب. أما التقصير فيهما فيترتب عليه الحساب والعقاب في الدنيا والآخرة. في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة البلد: 17-18].

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة محمد: 22-23].

ويتمثل العقاب للأبناء على التقصير والعقوق للآباء بمجموعة من العقوبات وهي كالآتي:

أولاً: الجزاء والعقاب لا يكون في الآخرة فقط، فهو يكون في الدنيا أيضاً، فالنصوص الشرعية في القرآن الكريم تؤكد على ذلك لأنها واجبة مُلزِمة، فالعقوبة في الدنيا تتمثل أولاً بالصم والعمى عن الحق، فيتيهون عن العدل فيطردون من رحمة الله بأن لعنهم الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾².

ثانياً: العقوبة الثانية للعقوق فتكون "بعقوق أولادهم لهم في الغالب عندما يتزوجون وتصبح لهم أسرة"، فالأبناء يقنتدون بأبائهم في العقوق، فالجزاء من جنس العمل، ولكنهم لا يحسبون حساباً لهذا اليوم عندما يكبرون في السن، فهم مصابون بالصمم عن الانتفاع من بر الوالدين وصلة الرحم، وأعمى أبصارهم عن

¹ دراز، محمد بن عبد الله، الأخلاق في القرآن، جزء 1، صفحة 143.

² البيهقي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية ولسمان الحرش، دار طبعة للنشر والتوزيع، ط4، 1994م، جزء 7، صفحة 287.

ما سيحدث لهم مستقبلا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [سورة محمد:23]¹.

ثالثا: وتكون العقوبة لهم في الدنيا أيضا بأنهم محرومون من بركة دعاء الآباء لهم والرضى عنهم، "فتنزع البركة من أموالهم وشؤون حياتهم جميعها، فيصابون بالفقر وضنك العيش وفقدان الصحة والعافية، فتصبح حياتهم صعبة ويفقدون راحة البال والنفس، فيا لها من عقوبة، جزاءً وفاقا لمن لا يوقر والديه ويبرهم فتقطع رحمته وتوفيقه لهم"². والعقوق كعقوبة هو علامة شؤم، وطالع نحس يؤذن بتعاسة العاق، ولن يزول عنه هذا العقاب حتى يرجع الآبناء عن عقوق آبائهم، ويبقى الفشل يطاردهم في كل عمل طيلة حياتهم، وسيكون عدم التوفيق وعدم الهداية هي سمة لمعيشتهم وتدبير حياتهم والعياذ بالله، وهذا من آثار اللعن لله عليهم بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾.

رابعا: العقاب في الآخرة: فالتقصير بأيهما يوجب العقاب الأخروي لا محالة في ذلك، "فعذاب الآخرة هو لازم لهم، فهو كافر بنعمة الله، فقد ارتكب كبيرة توجب العقوبة يوم الجزاء". والعقوق يحرم العاق من أن ينظر الله إليه يوم القيامة، ويُحرم من دخول الجنة، فيا تعاسة هؤلاء الأشقياء يبعده الله عن رحمته، فهو مطرود من رحمة الله سخطاً عليه في الآخرة، فأقصاهم وأبعدهم وأهلكهم وطردهم من رحمته وتوفيقه، فاستحقوا اللعنة من الله تعالى والبعد والذم من الله، فاستحقوا نار جهنم وما فيها من العذاب الأليم وذلك لقوله تعالى: ﴿وَيَقَطُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد:25]. فلهم ما يسؤهم في الدنيا والآخرة.

¹ المراغي، احمد مصطفى، الإيضاح، مكتبة ومطبعة الباي الحلبي، مصر 1946، ط1، جزء 26، صفحة 66.
² السمرقندي، نصر بن محمد، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، تحقيق يوسف بدوي، دار ابن كثير للنشر، صفحة 125.

فهم لم يصلوا ما بينهم وبين ربهم ولم يصلوا الأرحام، ولم يؤدوا الحقوق، وسوء الدار في الآخرة هي نار جهنم والعياذ بالله، "حتى ولو أنهم شكروا الله، فمن لم يشكر لوالديه لم يقبل منه شكره"، لقوله تعالى: ﴿أَنْ

أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [سورة لقمان: 14]¹.

المطلب السادس: الإجراءات والإرشادات للمحافظة على تلك العلاقة

والعلاقة بين الآباء والأبناء أحييت بضمانات للحفاظ عليها من الخلل على طول العمر للوالدين من أبنائهم، وهذه الإجراءات والضمانات من الأمور المعنية على برّ الوالدين، والأخذ بها والسعي إليها لا بد منه شرعاً في العلاقات بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم للحفاظ على حقوق كل منهما، وهذه الإجراءات تُمثل الضوابط للأبناء المتزوجين وغير المتزوجين معاً.

وتتمثل هذه الإجراءات والضمانات بعدة أمور²:

أولها: "الاستعانة بالله عز وجل للمحافظة عليها وصلة الآباء والأبناء عبادة ودعاءً والتزاماً بما شرع، عسى أن يوفقهم ويعينهم على البرّ والإحسان فيما بينهم". قال تعالى: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ

الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف: 128].

وثانيها: "استحضار فضائل البرّ وعواقب العقوق، فإن معرفة ثمار البرّ واستحضار حُسن عواقبه من أكبر

الدواعي لفعله والسعي إليه". قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾

أُولَئِكَ أَحَبُّ الْمِيمَنَةِ﴾ [سورة البلد: 17-18].

¹ السمرقندي، نصر بن محمد، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، صفحة 125.

² الحمد، محمد بن إبراهيم، عقوق الوالدين: أسبابه ومظاهره وسبل العلاج، وزارة الأوقاف السعودية، صفحة 42.

ثالثهما: "استحضار فضل الوالدين على الإنسان فهما سبب وجوده، وتعبا من أجله وأولياؤه خالص الحنان والموودة. قال تعالى: ﴿وَوَضَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ يَوْلَادِيهِ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَيَّ وَهْنٍ وَفَضَّلْتُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان: 14].

رابعهما: "توطين النفس على البر والتربية الصالحة للأولاد، وأن يوصي الوالدين الأولاد ببر بعضهم البعض حتى لا يألفوا العقوق". قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة محمد: 22-23].

خامسها: "صلاح الآباء أولا، فصلاحهم سبب لصلاح أبنائهم وبرهم بهم". قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الرعد: 23].

سادسها: "إعانة الأبناء على البر وذلك بتشجيعهم وشكرهم والدعاء لهم، فيكون محبا لهم كثير الدعاء لهم حريصا على شكرهم والثناء عليهم وإدخال السرور على نفوسهم بما يرضي الله ومناداتهم بأحب الأسماء إليهم". قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران: 159].

سابعها: "أن يضع الولد نفسه موضع الوالدين ويسأل نفسه هل يسره أن يلقي من أبنائه المعاملة نفسها". قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن: 60].

ثامنهما: قراءة سير البارين والعاقين مما يشد الهمة وينكي العزيمة ويبعث حُسن العلاقة بينهم باستمرار". قال تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِالْعَاقِبَاتِ الَّتِي هُنَّ أُمَّهَاتُ لَوْلَا إِيحَاءُ ذَلِكَ لَفُتِنَ الْبَارِئِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة الأعراف: 176].

تاسعها: "استشعار فرح الوالدين والأبناء لحُسن العلاقة بينهما، فلو استشعر الإنسان ذلك لانزجر عن العقوق وسوء المعاملة في العلاقة بين الأبناء والآباء". قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الفرقان: 74].

الضوابط والإرشادات للمتزوجين للحفاظ على العلاقة بين الآباء والأبناء:

هذه الضوابط لها تأثير كبير في استمرارية العلاقة بين الآباء والأبناء والمحافظة عليها، هي علاقة الآباء مع زوجات أبنائهم التي لها أهمية وحاجة ماسة للتوفيق بين زوجات الأبناء والوالدين، وإبعاد النفرة بينهما، وإرضاء الطرفين بما يرضي الله عز وجل، وهذا الضابط يكون مع كبار السن للوالدين الأب والأم. ويكون الحلّ عموماً بإظهار الحكمة والعقل على أداء الحق لكل الأطراف دون أن يلحق الجور بأحد من الأطراف، فيقوم كل طرف بأداء ما له وما عليه، وهناك إرشادات وإشارات تُعين على هذا الضبط في المحافظة على العلاقات بين الآباء والأبناء المتزوجين بما يأتي¹:

أولاً: "مراعاة الوالدين وفهم طبيعتهم، وأن يبدي المحبة لهما ولزوجته كل على حدة لإبعاد الغيرة بينهم وعدم توليد الكراهية بينهم وذلك بالموازنة بين الحقوق والواجبات بين الوالدين والزوجة، وأداء حق كل من أصحاب الحقوق دون أن يخلق جوراً بأحد منهم أو تقصير معهم".

ثانياً: "توجيه الزوجة للتودّد للوالدين وذلك بشراء الهدايا لهما وتقديمها لهما، وتعريفهما بقدر الوالدين للإنسان وأهمية الرعاية لهما والابتعاد عن عقوقهما، وتذكيرها بأنها ستكون أمّاً في يوم من الأيام فهذا فيه تقوية للعلاقة وإطفاء لنار الغيرة بينهما، ولتقوية الرابطة الزوجية بالذات".

ثالثاً: "أن الإنسان مأمور شرعاً بحفظ قرابته وودّ أبيه وأمّه، تقوية للرابطة الاجتماعية في الأمة، فالزوجة مأمورة شرعاً بأن تحفظ ودّ أهل زوجها من باب أولى، وقد دلّت آيات كثيرة من القرآن الكريم على ذلك، فهو خلق إسلامي أصيل يدلّ على نُبل النفس وجزاه المثوبة والأجر من الله تعالى، ودعوات مباركات من الوالدين، وكسب لمحبة الأقارب لهذه الزوجة الفاضلة".

¹ الحمد، محمد بن إبراهيم، عقوق الوالدين: أسبابه ومظاهره وسبل العلاج، صفحة 42

المبحث الثالث: أسس العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤسس للعلاقة بين الآباء والأبناء، بحيث تعمل على إيجاد علاقة قوية وطيبة بين الآباء والأبناء، وهذه الأسس تبدأ بالزواج، ثم الإنجاب، ثم العلاقات الإنسانية بين الآباء والأبناء المبنية على البرّ والإحسان والرحمة فيما بينهم.

المطلب الأول: حكم الزواج في القرآن الكريم

معرفة تلك الأحكام مهمة لأنها ستمهد للعلاقة الحسنة بين الأزواج، ثم العلاقة بين هؤلاء الأزواج وأبنائهم، فيتم تجنب الظلم للزوجة وإعطائها حقوقها كاملة، فيكون ذلك سبباً في إنشاء أسرة صالحة قادرة على إنجاب الأبناء وتربيتهم تربية سليمة.

الزواج في القرآن الكريم له أحكام متعددة، وهو مثل الجوانب الأخرى للحياة التي اهتم بها الإسلام، وهي تنظم بمجموعها ارتباط الأزواج بعضهم ببعض، وتبين العلاقة بينهم في ظل هذا الدين القويم، والزواج أهم علاقة يُقيمها الإنسان في حياته وأعظم عقد ينشئه، ويهتم الإسلام بهذه العلاقة اهتماماً كبيراً منذ إنشائها حتى النهاية إما بالموت أو الطلاق¹.

وأول الأحكام المتعلقة بالزواج هو أنه عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، "وقد تضافرت النصوص الشرعية التي تحضّ على الزواج في القرآن الكريم، وتُرغّب في إقامته وتفيد سنيته واستحبابه وتكشف عن الأحكام الشرعية المتعلقة بأنواع الزواج المختلفة، وحكم الزواج في الأحوال المختلفة"، فقد يكون الزواج فرضاً أو محرماً أو مكروهاً أو مستحباً على الندب حسب الأحوال والظروف كالآتي:

الفرضية: "ويكون الزواج فرضاً إذا تيقن الإنسان الوقوع في الزنا إذا لم يتزوج، وكان قادراً على نفقات الزواج من مهر ونفقة الزوجة وحقوق الزواج الشرعية، ولم يستطع الاحتراز عن الوقوع بالفاحشة بالصوم

¹الشاعر، ناصر الدين وعدد من المؤلفين، نظام الأسرة في الإسلام، صفحة 20.

ونحوه"، لأنه يصون نفسه عن الحرام وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة: 87].

التحريم: "يحرم الزواج إذا تيقن الشخص ظلم المرأة والإضرار بها إذا تزوج"، بأن يكون عاجزا عن تكاليف

الزواج، أو لا يعدل إن تزوج زوجة أخرى، فكل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام. قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعَفِيفَ

الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْزِنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النور: 33].

الكرهية: "ويكره الزواج إذا خاف الشخص الوقوع بالجور والضرر خوفاً ليس فيه يقين لعجزه عن الإنفاق

وإساءة العشرة، أو فتور الرغبة، أو النكاح بعد خطبة على خطبة غيره. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة المائدة: 87].

الاستحباب: ويستحب أو يندب الزواج في حال الاعتدال للمزاج فلا يخشى الوقوع في الزنا أو ظلم زوجته

وحالة الاعتدال هي الغالبة عند أكثر الناس. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ

أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد: 38]¹. والاستحباب في هذه الحالة يُبعد الظلم عن الزوجة التي تتعرض له

للأسباب الواردة في التحريم والكرهية كما ذكر سابقاً.

ويباح النكاح إذا انتفت الدواعي إليه وانتفت الموانع إليه بأن لا تتوق نفسه إليه لكنه قادر عليه. قال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

وإذا نظرنا إلى فضل الزواج من خلال تلك الأحكام الشرعية فإنها تعكس العلاقة التي نظمها الإسلام بين

الآباء والأبناء، فالزواج يحصل به تكوين الأسرة الصالحة التي هي نواة المجتمع، فالزواج يكسب

ويُنْفِق ويعول، والزوجة تُدبّر المنزل وتُنظّم المعيشة وتربّي الأبناء. والزواج أولاً هو إعفاف للنفس بالحلال،

¹الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر المعاصر، 1997، ط4، جز9، صفحة 6516.

وصيانتها عن الحرام، ووقايتها من الفتن، مما يجعل الآباء قادرين على إنجاب الأبناء وتكثير النسل الذي يعبد الله عز وجل¹. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: 1].

وهناك أحكام شرعية كثيرة متعلقة بالزواج، وأهم ما نذكره هنا هو الصداق أو المهر، لأنه يؤسس لعلاقة حسنة بين الآباء أنفسهم وفيما بعد بين الآباء والأبناء، فهو يدل على حسن المعاشرة فيكرمها زوجها بالمهر جبراً لخاطرها، وإشعاراً بقدرها، فتطيب نفسها وترضى بقوامه زوجها عليها، فيبزيهن على حسن نيته، مما يجعل العلاقة فيما بعد مع الأبناء أكثر تماسكاً واستقراراً.

المطلب الثاني: أسس اختيار الزوج الزوجة

اهتم الإسلام بالعلاقة بين الآباء والأبناء وذلك بحسن اختيار الأب للأب قبل الزواج، حتى يكونوا أسرة قادرة على تنشئة أبنائها تنشئة سليمة، "فالأم الصالحة تحفظ نفسها وزوجها وبيتها وأبناءها، وتكون عوناً للأب على طاعة الله". وابتداءً فالأساس الأول لاختيار الأب للأب قبل زواجه أن تكون من المسلمات الصالحات.

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [سورة النور: 32]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبَتْ كُمْ﴾ [سورة البقرة: 221].

ويكون الاختيار في القبول أو عدم القبول بالزوجة حسب الأسس الآتية:

¹التويجري، محمد بن عبد الله، موسوعة الفقه الإسلامي، الناشر بيت الأفكار الدولية، 2009م، الجزء 4، صفحة 17.

الأساس الأول في الاختيار: الصلاح والدين والخلق، لأن ثمرته الحياة الزوجية الناجحة التي تُشكّل الحاضنة لإنجاب الأبناء الأصحاء الأقوياء والصالحين. يقول الله تعالى: ﴿وَالْبَدُّ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ وَيَأْذِنُ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [سورة الأعراف:58] فتكون ملتزمة بالحجاب والزي الإسلامي.

الأساس الثاني: وهو وجود التوافق والحب والموّدة والرحمة ليكون الزوجين وهما الآباء مستقبلاً قدوة حسنة وصالحة تنشأ بينهما السكن والاستقرار لقوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم:21].

الأساس الثالث: وأساس مهم لا يُدّ منه عند اختيار الزوجة هو أن تكون "صاحبة علم وذو ثقافة في دينها، مطلعة على الأحكام الشرعية التي تخصها" لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر:9].

فتكون قادرة على رعاية الأبناء ووقايتهم من الهلاك في الدنيا والآخرة، وتربيتهم تربية صالحة قائمة على الخوف من الله عز وجل، والإلتزام بالأخلاق التي أمر بها الإسلام¹. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة التوبة:71]. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل الأسرة يتطلب العلم بالأحكام الشرعية والثقافة في الدين لتربية الأبناء تربية صالحة.

الأساس الرابع: ومن أسس الاختيار للزوجة أنها تكون سليمة من الأمراض، قادرة على الإنجاب لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان:74]. فلا تكون عاقراً غير قادرة على الحمل، فيُحرم الزوج من الذرية والأولاد.

¹التويرجي، محمد بن عبد الله، موسوعة الفقه الإسلامي، صفحة 26

قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَزِيزٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الشورى: 49-50]. وكذلك خلّوها من الأمراض التي تعمل على توقف الإنجاب مستقبلا، وهو ما يُعرف "بالأمراض الوراثية التي يترجح انتقالها إلى ذريتهما المتناسلة، فهذه أمراض لا يُرجى شفاؤها".

الأساس الخامس: ويتم اختيار الزوجة أيضا على أساس قدرتها على رعاية الزوج في نفسه وماله، وقدرتها على إعطاء الحنو على الأبناء في صغرهم وجميع مراحل حياتهم لقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: 187].

الأساس السادس: ويتم اختيار الزوجة على أساس جمالها وحسبها أو مالها، ويكون هذا الأساس هو الأخير لأنه الأقل أهمية في اختيار الزوجة الصالحة، وكذلك هو أساس متغير مع الزمن، فالزوجة الجميلة يتغير جمالها مع الزمن والشيخوخة، وكذلك المال والحسب فهو غير ثابت ويتغير بتغير الأحوال الأزمان. قال تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَى مِنَكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النور: 32]¹.

الأساس السابع: ويبقى أن نقول في هذا المضمار أن لجوء بعض الآباء في اختيار غير المسلمة كأم أو زوجة له من الكتابيات وهن النصرانيات واليهوديات، فالمسلم لا يجوز أن يتزوج مشرقة أو زانية أو امرأة فاسقة، فهو "محل خلاف فالأولى والأصل الزواج بالمسلمات"² لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة النور: 3].

¹ التويرجي، محمد بن عبد الله، موسوعة الفقه الإسلامي، 1/191.

² الشاعر، ناصر الدين، وعدد من المؤلفين، نظام الأسرة في الإسلام صفحة 141، 85.

أما قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [سورة المائدة:5].

ويرى الباحث أن هذه الآية لا تنطبق على واقعنا وأحوالنا في هذه الأيام، إلا أن تعلن الزوجة إسلامها قبل الزواج، لأنه "لا يؤمن أن الأبناء مستقبلاً قد يتبعون دينها فلا يخاف النكاح فيه على ولده أن يجبر على الكفر"¹، هذا أولاً، أما ثانياً فهل هناك أعظم شركاً من قول الإنسان أن الله ثالث ثلاثة عند النصارى، وقوله أن الله فقير ونحن أغنياء عند اليهود؟. بالإضافة إلى ذلك فهناك من العلماء من يشترط التكافؤ بين الزوجين في الدين وشدد عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِإِسْلَامِهِ وَلَا أُمَّةٍ مُّؤْمِنَةٍ حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُجْبَتَكُمْ﴾ [سورة البقرة:22].

الأساس الثامن: أما التكافؤ بين الزوجين في الأمور الأخرى فهو تكافؤ تفضيلي وليس إلزامي مثل التعليم الجامعي لكلا الزوجين، والمستوى المادي لهما، والمستوى الاجتماعي، فهو غير مهم إذا لم يكن هناك تباين تبايناً كبيراً بين الزوجين².

الأساس التاسع: وهو من الأوصاف التي ذكرها الله عزوجل في القرآن الكريم، وهي البكورة في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [سورة التحريم:5].

المطلب الثالث: أسس اختيار الزوجة الزوج

هناك أسس لا بد من الأخذ بها عند اختيار الزوجة في القبول أو عدم القبول لزوجها لتحقيق السعادة بينهما ويصفو العيش لتكوين أسرة قائمة على حُسن العلاقة بين الأزواج وأبناءهم.

وهذه الأسس كالاتي:

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 589/9.

² الشاعر، وعدد من المؤلفين، نظام الأسرة في الإسلام، صفحة 142.

الأساس الأول: "أن يكون صاحب دين متمسك بأوامر الله ونواهيه، ويعلمها الدين أن جهلت أو أهملت، ولا يحرّمها من الطيب المباح"، فالعلاقة بينهما قائمة على غير معصية الله، تأخذ بمصالح الدين والدنيا، ويكون عوناً لها على طاعة الله وتربية أبنائهما التربية الصالحة والسليمة المتمسكة بدين ربّها عزوجل. قال تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾¹.

الأساس الثاني: أن يكون "طيب النفس، حسن العشرة، حسن الصحبة، يُعاشِر زوجته باللطف واللين والبشاشة، يحلم إذا غضبت ويرضيها إن سخطت، ويتحمل الأذى منها، ويعتني بعلاجها إن مرضت ويعينها في خدمة بيتها، ويحفظ كرامة أهلها ولا يمنعها منهم، وعليه أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبّح ولا يفشي لها سراً". فهذه الأمور كلها صفات يجب مراعاتها عند اختيار الزوج لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم: 21]. فهذه الصفات تُمثّل أخلاق الزوج المسلم القادر على بناء أسرة قوية ذات علاقات متماسكة بين أفرادها، فتكون أسرة مستقرة استقراراً نفسياً وعاطفياً، فينعكس ذلك إيجابياً على الأبناء، فتكون العلاقة بينهما مبنية على التوافق والانسجام.

الأساس الثالث: كفاءة الزوج، والتكافؤ بين الزوجين يكون تفضيلاً وليس واجباً لعقد الزواج وهذا الأساس الذي يقوم عليه اختيار الزوج هو شرط لكفاءة الرجل للمرأة وليس شرطاً لكفاءة المرأة للرجل. وأهم عناصر الكفاءة هي الكفاءة المالية المادية للزوج، لأنها شرط لإنشاء الأسرة وبيت الزوجية والقيام بمتطلبات الزواج المالية التي بدونها لا يمكن تحقيق هذه المتطلبات. قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [سورة الطلاق: 7]².

فالزوج تكون عنده القدرة بالإنفاق على زوجته وعلى أبنائه الصغار بعد الزواج، وعليه أن يكون كريماً معهم ويوسّع عليهما بقدر ما هو موسّع عليه في الرزق والكسوة والمسكن، ولم يُعلق الإنفاق بقدر معروف. قال

¹التويجري، محمد بن إبراهيم، مختصر الفقه الإسلامي، دار أصدقاء المجتمع، السعودية، 2010م، صفحة 797.

²الشاعر، ناصر الدين وفريق من المؤلفين، نظام الأسرة في الإسلام، صفحة 144.

تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: 233]. والمعروف هو ما هو معروف بقدر النفقة عند الناس.

الأساس الرابع: أن تكون "غير مُكرهة على الزواج منه، وتُمنع من الزواج بشخص آخر ترغب بالزواج منه وهو مناسب لها في دينه وأخلاقه وقدرته على إقامة أسرة"، وهذا الأساس بيد الأهل والأولياء، وأن الأمر إليهم. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: 232].¹

الأساس الخامس: ومن الأسس لاختيار الزوج المناسب للزوجة أن يكون "ذو شخصية حسنة، وذو حسب ونسب"، وهذا الأساس يجب أن يكون في مؤخرة الأسس التي تأخذ بها الزوجة عند اختيار الزوج، فالغالب في أيامنا هذه أن هذا الأساس يكون في مقدمة الاعتبارات عند اختيارها للزوج المناسب الذي سيكون شريك حياتها، فالجمال والحسن للزوج لا يدلّ على التوافق والسعادة بين الزوجين، فلا بد من حُسن اختيار الزوجة للزوج بما يضمن استمرار علاقة مبنية على التفاهم والاحترام لها وللأبناء، وحُسن المعاشرة لهن. وحتى يكون الآباء معاً قدوة صالحة وحسنة للأبناء من خلال الترابط والمودة فيما بينهما. قال تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ حَيَرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [سورة البقرة: 221]. وهذا هو أصل السعادة في الدنيا والآخرة.

الأساس السادس: ولا بد لاختيار الزوج حتى تستمر الحياة الزوجية أن يكون خالياً من الأمراض الوراثية المتناسلة في العائلة عنده بما يضمن إنجاب أبناء سليمين صحياً، فهذا الأمر قد يُعكّر صفو الحياة الزوجية مستقبلاً وهذا من باب الاحتياط والأخذ بالأسباب لمنع أي سبب يؤثر في العلاقة بين الآباء والأبناء، والسبب هو كل ما يتوصل به إلى الشيء، وقد مُدّت لنا الأسباب في هذا العصر للكشف عن تلك

¹القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 170/18.

الأمراض الخفية التي قد تصيب الإنسان في ذريته وهم الأبناء والفروع من بعدهم. قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف: 84]¹.

¹ عبد السلام، عز الدين بن عبد السلام، تفسير القرآن، تحقيق: عبد الله الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، 1996م، جزء 2، صفحة 260.

المطلب الرابع: فطرة الإنجاب عند الآباء

والذرية وإنجاب البنين والبنات هي شهوة من شهوات النفس، ويتطلع إليها كل عاقل، والهدف منها هو التكاثر في الأولاد والأبناء. قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [سورة الحديد:20].

الفرع الأول: فطرة الإنجاب عند الرجال:

إن إنجاب الذرية وخاصة الصبيان هي رغبة يتطلع إليها الرجال كثيراً، فهو يرغب بالصبيان حتى يأتي من يحمل اسمه بعد الرحيل والموت، وتبقى ذريته متواصلة بالتناسل حتى لا تنقطع. وهذه الإرادة موجودة مع البشر منذ زمن بعيد. قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [سورة آل عمران:14].

فالكثير من الرجال انقطع ذريته ونسله من بعد موته لأنه لم ينجب الصبيان، وبقي وحيداً في هذه الدنيا، ولكن هذه إرادة الله عز وجل بحرمانه من الصبيان والذكور، "وقد تنشأ له ذرية من البنات تكون سبباً في تخفيف ما حصل للآباء من انقطاع لذريته من الأولاد الذكور". فالمؤمن حقيق عليه أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، فهو لا يدري ما هو خير له، "قرب ابنة أو جارية خير لأهلها من غلام"¹.

والآباء يطمعون أن يكون لهم ذرية حتى تكون هذه الذرية سنداً ودعماً لآبائهم وأهلها، فهي الأيدي التي ستعمل وتجلب المال والرزق لذويها، للحصول على حياة كريمة بعيدة عن الفقر آمنة في مآكلها ومشربها وملبسها. فالأبناء هم مصدر الرزق والعون للآباء في المستقبل مما يجعلهم سبباً في استمرار الحياة للآباء

¹ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، 227/17.

حتى نهاية حياتهم، لا يلجأون إلى أحد وطلب العون منه. قال تعالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [سورة يوسف: 65].

والرجال يرغبون بالذرية "ليكونوا الجند المحاربون الذين يدافعون عن أهلهم"، فهم السد المنيع والقوة التي تمنع الآباء والأهل من الأعداء مستقبلاً، وهم اليد التي يبطش بها الآباء لكل من تسول له نفسه بالاعتداء عليهم أو المس بهم، ولكن يكون ذلك على الحق ولا يقفون معهم على الباطل. قال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 6]. وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: 29].

وحب الآباء وانجذابهم لإنجاب الذرية والأبناء يكون "بدافع الاغتياب بهؤلاء الأبناء، فهم مصدر للسعادة والفرح، ومضاعفة الأجر للذين آمنوا بالله عز وجل"، فقد غرس الله محبة الأبناء والشغف بهم في قلوب الآباء الذين يتعلقون بأبنائهم مهما بلغ جفاء قلبه وخسونة أخلاقه¹. قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الكهف: 46]. فإنجاب الذرية والأبناء يحظى بمكانة عالية في نفوس الآباء والأهل. قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات: 100].

الفرع الثاني: فطرة الإنجاب عند النساء:

هذه الفطرة والرغبة عند النساء تختلف عن فطرة الذرية عند الرجال من خلال دوافع كل منهما، وقد تكون هذه الفطرة عند الأمهات أقوى من الأزواج الرجال، وأقوى الفروق بينهما هي عاطفة الأمومة عند الأمهات التي تُميّز الأم عن الأب والتي تعتبر عنواناً للنساء والأمهات، فالرجال لا يشعرون بعاطفة الإبوة إلا عندما يرزقهم الله بالذرية. أما النساء فعاطفة الأمومة هي من فطرتها منذ صغرها، فهي تشعر بهذه العاطفة

¹ العلامي، عبد الرحمن بن أحمد، تسليية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال، تحقيق: وليد العيان، صفحة 3.

ويتولد عندها الرغبة بأن تكون أم منذ صغرها، وتدفعها للقيام بواجباتها دون إرغام بعد الزواج. قال تعالى:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف: 15].¹

ويكون السبب أيضا في حُب الإنجاب والذرية هو الرغبة عند النساء في تكوين أسرة تشتمل على الأبناء ذكورا وإناثا، فهي أول رابطة اجتماعية تربط النساء بغيرهن طبعاً بعد الزواج، فالإنسان والمرأة بالذات تسعى دائما لتطوير نفسها اجتماعيا ببناء أسرة أولا لتكون فيما بعد أساساً لحفظ النوع وتكوين النسل، فلا بد من التوالد والشهوة إليه حتى تعمر الحياة. قال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: 1].

فالنساء هن مزدرع الأولاد ومحترث النسل، الذي يدوم به الجنس البشري، فيشبهه الله عز وجل الإنجاب والذرية بالزرع في الأرض الذي يحيا به الإنسان.² قال تعالى: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: 223].

وتطمع النساء في إنجاب الأولاد وحُبّ الذرية نظراً لأن الأبناء سيكونون المرتكز المالي والمادي لها عندما يكبرون ويبلغون مبلغ الرجال وذلك بعد الزواج، فالنفقة على الأم يوجبها الشرع، وتدعو لها الأخلاق الإنسانية من باب ردّ الجميل لرعايتهم وتربيتهم لأبنائهم، وكذلك من باب الشفقة والرحمة لشخص يحتاج المساعدة والدعم المالي، فالأم هي أولى الناس بهذا الدعم والمساعدة فهذه اعتبارات تولد الشهوة والرغبة عند النساء في الذرية وإنجاب الأبناء.

أما شرعاً فتجب النفقة من الأبناء على الأمهات وعلى كل من يرث الأبناء بفرض أو تعصيب، فإنجاب الأطفال والذرية هو سبب من أسباب الرزق والكفاية عند النساء. قال تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ

بِوَالِدِهَا﴾ [سورة البقرة: 233]. فالذرية ليس فيها ضرر وإنما هي سبب للخير والمنفعة.³

¹ عبد المطلب، أمة الله، رفقا بالفوارير . نصائح للأزواج، مكتبة المسجد النبوي، صفحة 410.

² الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، جزء 1، صفحة 284.

³ التويجري، محمد بن عبد الله، موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، 2009م، جزء 4، صفحة 159.

والأبناء والذرية الصالحة يهفو إليها القلب ويشتهيها، لأن النساء مرهفات المشاعر والأحاسيس، فليس لهن القدرة بالدفاع عن أنفسهن عندما يؤذيهن أحد في تلك المشاعر، فلا تستطيع المجابهة على الغالب، ويكون موقفها ضعيف. قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُدَشِّقُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَاكِ عَيْرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الزخرف:18].

والذي يقف معها في هذا الظرف هم الأبناء الذين يدافعون عنها ويشكلون الدرع الواقي لها مدى الحياة، فهم مصدر القوة والسند للأمهات، والحماية لهن من أي متعدي غاشم، وذلك بوقوفهم معها على الحق بما يرضي الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة:71]. فالأبناء يؤازرون أمهاتهم على الإسلام والحق، فهم أنصار وأعوان لهم ينصرونهم إذا استتصروهم على الحق¹.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة:71]. فالأبناء يؤازرون أمهاتهم على الإسلام والحق، فهم أنصار وأعوان لهم ينصرونهم إذا استتصروهم على الحق.

"الوله والحب للذرية هو من بهجة الدنيا ولذتها، فتلعب وتلهو معهم النساء وتنتظر بهم وتعتضد أمام الناس تزينا بهم وفرحاً" والذي يورد هذه الأفرح على القلب هو الله عز وجل، فهي لذة ونعمة غُذِّيت بالشهوة للإنجاب والذرية، فيتحول الفرح بهذه الذرية إلى بهجة، ولكن بشرط وهو حفظ الجوارح وتقوى الله حتى لا يتعدى الحدود ولا يهلك صاحبها. قال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [سورة الحديد:20]².

وفطرة الذرية عند النساء يكون لها أثر إيجابي على الأمهات وذلك "بانجاب أولاد يُسَبِّحُونَ الله عز وجل ويعبدونه"، وهو خير عمل يُخَلَّدُ صاحبه بعد الموت، ويكون ذلك بإحاطة الأبناء بالعطف والحنان والرقعة

¹الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 29/4.

²الحكيم الترمذي، محمد بن علي، رياض النفس، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، صفحة 47.

والحب، مما يبعث الوجدان الصادق والعاطفة الدافئة التي تعمل على تغذية الأبناء روحياً ومعنوياً، وتربيتهم ووقايتهم من الهلاك في الدنيا والآخرة، فيتم توجيه شهوة الذرية للأباء وخاصة الأمهات التوجيه الصحيح.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم:6]¹.

المطلب الخامس: الزواج الأسرة الإنسانية

الأسرة هي "الوحدة الاجتماعية الأساس في البناء الاجتماعي التي يتأتى من خلالها تربية الفرد في شتى المجالات الخلقية والدينية والاجتماعية"، وهذا المعنى للأسرة يجعلها شيئاً إنسانياً يحتاج إليه البشر جميعاً بدون استثناء، فهي مطلب إنساني بحت تحتوي الأزواج آباء وأمهات وأبناء وذوي رحم، يجمعهم عقد ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة الذين يكونون أفراد الأسرة فيما بعد، وهذا العقد أطلق عليه رب العزة بقوله تعالى:

﴿وَآخِذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [سورة النساء:21]².

الفرع الأول: أهمية الأسرة في توطيد العلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم:

تبرز أهمية الأسرة ومكانتها من خلال وظائفها والدور الذي تؤديه للأبناء والمجتمع على حد سواء. فالأبناء يجدون فيها السكن والحماية والأمن، من خلال احتضان الأبناء والأمهات لهم، "فهم مصدر التربية في الأسرة التي تُشكّل المحضن الطبيعي الذي يتولى رعاية أجساد وعقول وأرواح الأبناء". إذاً الأسرة لا تكون فقط من أجل إشباع الغرائز فقط، بل من أجل مهمة إلهية أرادها الله لخلقه، وهي المحافظة على الجنس البشري وبقائه. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات:3].

والتناسل هو النتيجة الطبيعية لتكوين الأسرة، وهو أهم ثمرات الزواج، فإنجاب الأبناء هو الأهم في نظرة الإسلام لمقاصد تكوين الأسرة، حيث يتم تكوين الجنس البشري كما أراد الله عز وجل، فيحصل بينهم

¹صبح، علي، أدب الطفولة بين القرآن الكريم والسنة النبوية، ط1، صفحة 29.

²السيد، عزمي طه وعدد من المؤلفين، مقرر الثقافة الإسلامية، صفحة 310.

التعارف الذي يترتب عليه التناصح والتعاون فيما بين أفراد الجنس البشري كافة، ثم قبل ذلك يحصل التعارف بين أفراد الأسرة الواحدة من خلال القيام بحقوق الأبناء والأقارب من خلال العلاقة الحسنة بين الآباء والأبناء وهم النسل الصالح الذي يُعمر به الأرض، فبناء الأسرة من خلال التوجيه القرآني له أهمية كبيرة وذلك من خلال المقاصد الإلهية لبناء الأسرة وهي¹:

أولاً: "حصول العقّة للزوجين في الحلال حتى لا يرد موارد التهلكة".

ثانياً: "السكن الفطري للزوجين المبني على المودة والرحمة والتأنس".

ثالثاً: "إقامة البيت المسلم عماده الإبناء الصالحين الذين يخدمون آباءهم ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم في الدنيا والآخرة".

رابعاً: "التعارف والتعاون بين الناس على البر والتقوى".

خامساً: "ابتغاء النسل الصالح والولد الصالح".

والأسرة بشكل خاص هي الوحدة الأساسية والرئيسية لبناء المجتمع، الذي يضم أفراد العائلة والأبناء، وتشكل الأسرة المصدر الأول للأخلاق والسلوكيات السوية والقيم الحميدة تعليماً وتربياً. كما أنها تشكل الوسيلة الأولى لنقل خبرات وتجارب الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة بما يتيح تراكم الخبرات الإنسانية وتعاضلها سعياً إلى التقدم والبناء الحضاري².

فبناء الأسرة له أهداف يبرز العلاقة بين الآباء والأبناء القائمة على الأخلاق الإسلامية العليا، ودعوة أفراد الأسرة والمسلمين كافة إليها بلا محاباة ولا مجاملة في الحق. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا

قَوَّامِينَ بِأَلْقَابِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۗ﴾³.

¹ مركز تفسير للدراسات القرآنية، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، السعودية، 2019م، مجلد 3، صفحة 262.

² عقلة، محمد، نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط3، (د.ت)، جزء 1، صفحة 38-40.

³ الأزدي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، الناشر إحياء التراث، بيروت، 1423 هـ، الجزء 5، صفحة 127.

والأسرة لا بدّ لها من التكافل للحفاظ على تماسكها بذلك نجد آيات كثيرة في القرآن الكريم تحضّ على هذا المبدأ، وذلك بمدّ يدّ العون والمساعدة لأفراد الأسرة بعضهم مع بعض، فكان الدافع من ذلك هو أهمية الأسرة الإسلامية في القرآن الكريم وجعل جميع أعضائها كالبدن الواحد السليم، فكل عضو يُقدّم ما عليه من وظائف في هذه الحياة بمقتضى ما هيا له الله عزوجل الظروف والأحوال، فالأبناء الصغار يقوم عليهم آبائهم، أما الآباء في الكبر فيقوم عليهم أبنائهم. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة: 215]. فبصلاح الأسرة والبيت تنشأ قوة كبيرة للأمة الإسلامية "قادرة على مواجهة أعدائها من الداخل والخارج، وإيقاف الظلم الذي لحق بهذه الأمة الموعودة بالنصر"¹.

فالأسرة ليست معزولة عن الأمة فهما كيان واحد، فالإسلام يعدها البوتقة الأولى لمبادئه واختبار لشريعته وتأثيرها، فإذا كانت هذه البوتقة سليمة وقوية ومحصّنة من الآفات ظهر لنا مجتمع وأمة سليمة قوية وأمنة من الآفات المهلكة، ولهذه الأسباب التي تُظهر أهمية الأسرة في القرآن الكريم وقفت الشريعة الإسلامية هذه الوقفة الحكيمة الحازمة من الصلات الروحية والنفسية والمادية بين أعضاء هذه الأسرة المتمثلة بالعلاقة بين الآباء وهم الزوج والزوجة وبين الأبناء من جهة أخرى².

فالعلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم هي التي تربط الأسرة بعضها ببعض، فالعلاقة القوية المبنية على التقوى هي العلاقة المثالية التي يسعى لتحقيقها القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ كُورَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 282]. فالله يعلمنا ما يكون "إرشاداً واحتياطاً في أمر الدنيا والآخرة فهو العالم بجميع المصالح"³.

¹ المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1946م، جزء 2، صفحة 132.

² الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت) (د.ط) صفحة 1204.

³ الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، 1204/9.

الفرع الثاني: العلاقات الإنسانية الأسرية:

العلاقات الإنسانية تشمل علاقات كثيرة منها "علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، وعلاقة الإنسان بالكون والحياة الدنيا والآخرة"، وما يهمنا في هذه العلاقات هي علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وهي علاقات تربط الإنسان بالإنسان، مثل العدل والتراحم والصحة والتكافل الاجتماعي، والمساواة بين الناس. قال تعالى: ﴿وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء: 36]¹.

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أنها ذكرت أنواعاً من العلاقات التي تخص العلاقة بين الآباء والأبناء، فمن العلاقات الإنسانية الشاملة الكاملة التي تُعنى بالبشر "ولم يترك صنفاً من هذه العلاقات إلا وذكرها إجمالاً أو تفصيلاً". قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: 38]².

وتبدأ العلاقات الإنسانية تتسع وتنتشر ابتداءً من النفس البشرية، ثم لتشمل كل بني البشر ولكل فئات المجتمع، فعلاقة الإنسان بالوالدين وبذوي القربى ورحمه وزوجته وأبنائه جعل القرآن لها منهجاً متكاملًا للتعامل الأخلاقي فيما بينهم، وهذا المنهج هو منهج "سديد له قواعد ثابتة من خلال القيم والأخلاق والقوانين التي نظمها القرآن الكريم"، المتصلة أصلاً بالعبقيدة الإسلامية التي تحمل صفات الرحمة والصدق والعدل المرتبطة بهذه العلاقات³.

وتبرز العلاقات الأسرية في القرآن الكريم كواحدة من أهم العلاقات الإنسانية التي تحدث عنها القرآن الكريم ضمن علاقة الإنسان بالإنسان التي تضم علاقة الآباء والأبناء، فهذه العلاقات "فريدة ولن تجد مثيلاً لها

¹ السيد، عزمي طه وعدد من المؤلفين، مقرر الثقافة الإسلامية، صفحة 142.

² الأردني، تفسير مقاتل بن سليمان، 127/56.

³ السيد، عزمي طه وعدد من المؤلفين، مقرر الثقافة الإسلامية، صفحة 154.

في كل القوانين الوضعية البشرية، فهي النموذج الأمثل لحضارة الإنسان"، فبعد نعمة الخلق والإيجاد كانت نعمة الله عليه بالإمداد والرعاية لهذا المخلوق، رعاية خاصة متميزة عن سائر المخلوقات لأن التصور القرآني جعل الإنسان في قمة الكائنات الحيّة التي تعيش على وجه الأرض من خلال المزايا والصفات التي أودعها الله فيه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 70]¹. فالتكريم للإنسان جاء لما أعده الله لهذا الإنسان من غايات جليلة أولها إقامة العلاقات الإنسانية على أسس واضحة وأعراف صالحة لكل زمان ومكان، فكانت علاقة الإنسان بالله عز وجل، وعلاقة الإنسان بالكون، وعلاقة الإنسان بالحياة.

وجاءت الأسرة على رأس الأولويات في علاقة الإنسان مع الإنسان كفريضة إنسانية. قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آلَاءِ اللَّهِ أَنْ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ مِّنْ إِمْلَاقٍ حُنَّ نَزَرُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام: 151]².

وتبدأ العلاقة الأسرية بالزواج، فرغب القرآن الكريم بالزواج وحثّ على تيسيره وتسهيله ليستقر المجتمع "ويحصل النماء والبناء"، ويتفرغ الخلق للعبادة والعمارة بعد أن تطمئن النفوس وتسكن.

وعني القرآن الكريم بتكوين الأسرة واستصلاحها لأنها أساس المجتمع القوي الذي تشتد قوته بقدر التماسك والترابط وقوة العلاقات الأسرية، فإذا كان هذا الأساس قوياً ومتماسكاً فإن الأمة والمجتمع يكونان ناجحان في بناء حضارة إنسانية قائمة على الإسلام، وذلك بإنشاء أجيال صالحة وقادرة على البناء والقيادة. قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [سورة الرعد: 23]³.

¹ عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، صفحة 15.

² السيد، عزمي طه وعدد من المؤلفين، مقرر الثقافة الإسلامية، صفحة 154.

³ عبد المطلب، أمة الله، رفقا بالقوارير، نصائح للأزواج، مكتبة المسجد النبوي، صفحة 400397

والعلاقات الأسرية تشمل العلاقة بين الزوجين من جهة، وعلاقة الآباء والأبناء من جهة ثانية التي نحن بصددنا. فالأسرة مسؤولة عن عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعلم من خلالها الأبناء خبرات الثقافة وقواعدها، مما تجعله يحصل على المزيد من الاكتساب من هذه الخبرات، وتُمكنه من المشاركة التفاعلية مع غيره. "والتنشئة الاجتماعية تشمل الصحة البدنية، والنمو العضلي، وضبط دوافعه الإرادية بصورة متناسقة مع فطرته التي فطرها الله عز وجل بها".

وتتبقى من العلاقات الأسرية مجموعة من الواجبات على الآباء للأبناء منها:

أولاً: إعداد الأبناء للمشاركة في حياة المجتمع والتعرف على قيمه وعاداته.

ثانياً: إمدادهم بالوسائل التي تُهيء أبناءهم كأفراد فاعلين داخل المجتمع.

ثالثاً: توفير الاستقرار والأمن والحماية للأبناء.

فكانت العلاقات الأسرية مبنية على أسس راسخة، تستجيب لمتطلبات الحياة، وتتواءم مع حاجات الأبناء في حفظهم وحراستهم وتغذيتهم وكسوتهم وإيوائهم وتربيتهم. فالأسرة المسلمة بعلاقاتها مع أبنائها في القرآن الكريم هي أنموذجاً ومثالاً يُحتذى به بما تمثله من عناصر الريادة والقيادة الصالحة، التي تعمل على إنجاب أبناء يلتزمون بطاعة الله وتجنب معصيته. قال تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُحْرِيًّا﴾ [سورة الزخرف:32].

والعلاقات الأسرية مبنية على أساس "الحرص الشديد على تأمين السعادة للأسرة كاملة، وتمتين تماسكها وترابطها من الناحية النفسية والجسدية" من خلال التقاهم والتكافل وتوفير ضمانات الاستقرار لها، وإشباع كافة الرغبات الإنسانية المتأصلة في أعماق الآباء والأبناء. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان:74].

إذن فالعلاقات الأسرية هي علاقات إنسانية تقوم على أساس المشاعر الإنسانية الراقية، من التقاء إنسانين تربط بينهما حياة مشتركة وآمال مشتركة ومستقبل مشترك، يلتقي في الذرية المرتقبة والجيل الجديد والذي ينشأ في العش المشترك الذي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان عن الأبناء، فالأصل في الرابطة الزوجية الاستقرار والاستمرار، ويحيط القرآن الكريم هذه الرابطة بكل الضمانات التي تكفل استقرارها واستمرارها من خلال جعلها طاعات، وكفالة الدولة لها، ويفرض الأدب فيها منعاً للفتنة، وبيان أحكام الأسرة¹ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم: 21].

وأكد القرآن الكريم على تجنب قطع العلاقات الأسرية حتى تكون بُنية الأسرة وصلة الرحم قوية، وتأكيد المحبة والتواصل بين أبناء الأسرة الواحدة، القائمة على الرحم الواحدة، وصلة الدم والقرابة، مما يدعوهم إلى التراحم والتعاون، ويتطلب ذلك تقوى الله من أجل الحفاظ على علاقات البشر في المستوى الثنائي والجماعي، ونخص بالذكر علاقة الآباء مع الأبناء والعمل على تحسينها. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [سورة النساء: 1]².

إذا لابد من الصفاء الدائم والوقوف على الواجبات والحقوق لكل طرف في العلاقات الأسرية المبنية على تقوى الله في المعاملة، إذ أن المعاملة الطيبة والإحسان وزيادة العطف هي ما يجعل العلاقة بين الآباء والأبناء في أحسن حال. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: 128]³.

¹ عبد المطلب، أمة الله، رفقا بالقوارير، 359/6.

² الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، 1422هـ، الجزء 1، صفحة 279.

³ أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، 1877/4.

ويظهر لنا من خلال هذا المبحث أن كل آية وردت في القرآن الكريم تتحدث عن العلاقة بين الآباء والأبناء هي من أسس تلك العلاقة، والتي شملت معاني الإحسان والعدل في التعامل، والموّدة والرحمة، والعشرة بالمعروف، وتقوى الله وطاعته في هذه العلاقة، بالإضافة إلى ما ذكر من أسس في هذا المبحث.

الفصل الثاني

العلاقة بين الآباء والأبناء ومقاصدها

العلاقات الأسرية هي علاقات متعدّدة، وينتج عنها حقوق متبادلة بين الآباء والأبناء، ووفاء كل طرف بحقوق الآخر، فما من حق إلا ويقابله واجب عليه من باب العدل والإنصاف، فالواجب للآباء إعطاء ما عليهم من حقوق كاملة للأبناء، وواجب الأبناء إعطاء ما عليهم من حقوق كاملة للآباء.

ونعرض فيما يأتي لأهم حقوق الأبناء على آبائهم، وحقوق الآباء على أبنائهم:

المبحث الأول: واجبات الأبناء على الآباء

إذا أثمر الزواج بالأبناء، فإنه ينتج عن ذلك حقوق لهؤلاء الأبناء منذ اللحظة الأولى في الحياة، ومنها الطعام واللباس والسكن والعلاج والحماية والإرضاع والرعاية لهؤلاء الأبناء.

المطلب الأول: حق الولد في الرضاعة

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [سورة البقرة: 233] وجعل الله سبحانه وتعالى الرضاع حقاً للأبناء على الآباء، فإن أراد الأب أن يفطمه ولم ترض الأم بذلك فليس له الحق في الفطام، والعكس صحيح، فلا يجوز للأب الفطام إذا رفض الأب ذلك، فهذا يشير للاختلاف بين الأب والأم في الفطام، أما "إذا اجتمعا على الفطام جاز لهما ذلك".

قال تعالى: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾ [سورة البقرة: 233] وحق الرضاع له حدّ معين، فتمام الرضاع حولين كاملين، وأنه لا رضاع إلا في هذين الحولين، وهو قول ابن عباس. وذهب آخرون إلى أنه فرض على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين، ثم خفف الله تعالى نكروه. فجعل الخيار في ذلك للآباء والأمهات إذا أرادوا الإتمام. قال تعالى: ﴿وَأُولَادَاتٌ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [سورة البقرة: 233]¹.

¹ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 204/4.

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف:15] لا تتعارض مع الآية الأخرى بكون مدة الرضاعة سنتين كاملتين، لأن "أقل مدة للحمل هو ستة أشهر"، فإذا أضيف إليها حولان أصبح ثلاثون شهرا كما ذكرت الآية الأخرى، فهو "تخصيص لأقل الحمل وأكثر الرضاع"¹.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة:133] والرضاعة تكون "واجبة على الأم إن لم يقبل الولد غيرها"، فالرضاع يكون لازم لها، "وتُجبر حينئذ على الإرضاع"، الأصل أن كل أم يلزمها رضاع ولدها والزوجية قائمة، فأمر الزوجات بإرضاع أولادهن وأوجب لهم النفقة والكسوة. والمعروف هنا هو "المتعارف عليه في عُرف الشرع من غير تقييد ولا إفراط"، فيكون الإنفاق على قدر غنى الزوج من غير تقدير لذلك الإنفاق. قال تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:233].

والرضاعة كحق للأبناء لا اختلاف فيه، أما الرضاعة كحق للأم أو حق عليها، فاختلف الناس في ذلك، فاللفظ محتمل، فهو حق لها، فهي أولى من غيرها في الرضاعة، وهو في نفس الوقت حقٌ عليها لابنها الرضيع، لأنه "عُرف يلزم فقد صار كالشرط"، مع أن الآية الكريمة لم تقل: (وعلى الوالدات رضاع أولادهن) وإنما قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فارضاعة أولاً هي حق لها، ثم بعد ذلك هي حق عليها².

والرضاعة للأبناء الرضع نظمها القرآن الكريم في كل الحالات والظروف، فأجرة رضاع الولد أوجبها الله للأم على الوالد في حالات عدم الوفاق أو الطلاق، أما في الأمور الطبيعية والزوجية فهي من نفقات الزوجات على الإطلاق، وهي واجبة على الوالد، وتكون على قدر حال الزوج وماله، قال تعالى: ﴿عَلَى

الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة:236].

¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 113/5.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 160/3.

الرضاعة الطبيعية:

والإرضاع له تأثير مهم جدا في تكوين نفسية الطفل فيما بعد، فعندما يتم ضمّه بحنان وبإبداء العواطف فإنها تتكون "عنده الشخصية من خلال ما يتلقى من طرق المعاملة".

والرضاعة المعاصرة من الأمهات للأبناء وهم أطفال بالطرق العصرية عن طريق الرضاعات الصناعية هي طرق ميكانيكية خالية من الإحساس والوجدان بين الأمهات والأطفال الرضع¹.

وحق الرضاعة للأبناء الرضع حرص عليه القرآن الكريم حرصاً شديداً منذ العهد الأول للإسلام فنجد الشريعة السمحة من خلال النصوص القرآنية المتعددة تهتم بموضوع الرضاعة، والمقصود هنا الرضاعة الطبيعية. والحرص على موضع الرضاعة الطبيعية في عصرنا هذا هو ليس فقط من أجل المزايا التي يتمتع بها لبن الأم لأنه ليس له مثيل، بل من أجل أيضا أهمية الرضاعة من الجانب الوجداني. فالرضاعة كحق للأبناء تقترب بالعواطف من محبة وحنان، والأحاسيس الجياشة من الطرفين، وهذا الأمر يمنع الطفل في المستقبل من انعكاسات خطيرة أو انحرافات أو تقوقع وانطواء على الذات.

إن حرمان الطفل الرضيع من هذا الحق ومن هذه النعمة يشكل ضرراً كبيراً للأبناء، فلا بد من الحرص من الآباء على هذه النعمة وهذا الحق للأبناء، فلا يأمر الله جل ثناؤه عباده بشيء إلا وفيه نفع وفائدة فهو الذي خلقهم وهو أعلم بهم. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: 14]².

فحق الرضاعة للأبناء يعود بالخير والنفع على الطرفين الآباء والأبناء، فالآباء لهم ثواب عظيم بلا شك للالتزامهم بطاعة الله عز وجل لورود النصوص الشرعية على ذلك، أما الأبناء فيعود ذلك عليهم بالنفع جسدياً ونفسياً وعقلياً كما تمّ توضيحه سابقاً.

¹ المقدم، محمد أحمد، لماذا نصلي، موقع الشبكة الإسلامية، الجزء 5، صفحة 2.

² المقدم، محمد أحمد، محو الأمية التربوية، موقع الشبكة الإسلامية، الجزء 8، صفحة 24.

المطلب الثاني: حق الولد في العناية

العناية بالأبناء تتطلب الرعاية لهم والحفظ، والقيام بالمصالح والتفاهم مع الأبناء وإعدادهم وتنميتهم نمواً سوياً منذ الولادة ، والعناية بالأبناء تكون بالمدارة وسعة الخلق والنفس، وتمام الشفقة عليهم وإظهار المحبة لهم والصفح عن عثراتهم في غير إثم أو معصية¹.

فهم يحتاجون إلى عواطف محسوسة تشعرهم بالمحبة من الآباء، ولكن في حدود معينة، إذا أخطأ فعلى الآباء بيان الخطأ وعدم السكوت، فإذا تمادى الأبناء في الخطأ فيجب على الآباء "اللجوء للعقاب ليتوجه الأبناء إلى الطريق الصحيح والصواب"، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم:6].

والحُب الزائد للأبناء عند بعض الآباء غير مقبول، فيقومون بتدليل أطفالهم وأبنائهم ويرفضون توبيخهم أو إجبارهم على نظام معين، فهذا ليس تعبيراً عن الحب، فوقاية أبناءنا من النار تتطلب الجهد الكافي في الرعاية والتنظيم لأبنائنا، فيجب على الآباء أن يدركوا أنه سيأتي اليوم الذي يكبر فيه الأبناء ويصبحوا شباباً يعتمدون على أنفسهم بمرور الوقت².

والعناية والرعاية الحسنة للأبناء لا تعني بأي حال من الأحوال سيطرة الأبناء على الآباء في العلاقة بينهم، وإنما يجب أن تكون السيطرة للآباء على الأبناء من خلال توجيهات الشريعة الإسلامية العزاء، وتعليمهم المبادئ القائمة على هذه الشريعة الربانية التي يجب أن تُنفذ بدقة لنصل إلى العلاقة المثالية بين الآباء والأبناء.

¹ العامري، محمد بن محمد، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، تحقيق: عمر باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1388 هـ، صفحة 71.

² الشرييني، زكريا، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته، دار الفكر العربي، صفحة 243.

وهذه المبادئ مفيدة لتعليم الآباء العلاقات الحسنة مع الأبناء وأهمها العدل في المعاملة مع الأبناء بأن "لا يُمَيِّزُوا بَعْضَ أَبْنَائِهِمْ عَنِ الْبَعْضِ" فهو ظلم مُحَرَّم يؤدي إلى إيجاد العدواة والبغضاء بين الأبناء بداية، ثم يؤدي فيما بعد لوجود ذريعة للأبناء لمعصية الآباء والتفريق بينهم في المعاملة وعدم برهم¹.

والعناية بالأبناء تتطلب أن لا يُميز الآباء بين الذكور والإناث من أبنائهم، فهناك من الآباء من لا يُسر لمولودته البنت فيظهر الهم والحزن وما هذا إلا جهل واعتراض على قدر الله، فيقصر في تربية بناته ولا يراعهن الرعاية المطلوبة منه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النحل: 58-95].

والعناية بالأبناء يلزمها التقه في الدين والوقوف عند حدود الله للآباء، وكيف يتعامل مع أبنائه ويربيهم، فما من خير إلا ودلنا عليه ديننا الحنيف، وما من شر إلا وحذرننا منه من خلال الموعظة والدعوة إلى عمل الخير، حتى يستجيب الأبناء للآباء، حينئذ يكون الآباء قد استوفوا حق الأبناء في العناية والرعاية². فالعناية بالأبناء تتطلب جهداً كبيراً من الآباء من خلال توجيهات الشريعة القائمة على العدل والمحبة وتلبية مطالبهم المشروعة، وتعليمهم مبادئ الدين والأخلاق.

المطلب الثالث: حق الولد في النفقة

والنفقة تكون في الطعام واللباس والسكن والعلاج والإرضاع، وأهم ما يجب على الآباء في الإنفاق أن يطعمهم من الحلال، والاعتدال في الإنفاق، فلا يقنر عليهم في الإنفاق ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأعراف: 31].

¹ الشرييني، زكريا، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته، صفحة 246.

² عفيفي، محمد بن يوسف، الهدى النبوي في تربية البنات، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، 1422 هـ، العدد 117، صفحة 396.

وحق الأبناء في المأكل يوجب على الآباء "أن لا يستأثروا بمأكل طيب ولا يطعمونهم منه، وإذا أكلوا فيقتعد الأبناء على المائدة"¹.

والنفقة على الأبناء "مقدرة بالكفاية وتختلف باختلاف من يجب له النفقة في مقدارها"، والمعنى هنا النفقة على الأبناء، وتكون في سائر المؤن من كسوة وسكن على من يعول. والنفقة في القرآن الكريم لها وجوه كثيرة، وما يهنا هو الإنفاق على العيال، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [سورة الطلاق:7].

فالإنفاق إلى حد الكفاية بما يكفي المنفق عليه، أما الفقير فعليه الإنفاق بقدر ما يستطيع وحسب طاقته، قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [سورة الطلاق:7].

والنفقة على الأبناء هي وصية من الله للآباء بما يجب عليهم نحو أبنائهم من الحق والخير والإحسان. قال تعالى: ﴿يَحْنُ تَرَزُقُهُمْ وَإِيَّاكَ﴾ [سورة الإسراء:31] فالله عز وجل خلقهم وتكفل برزقهم ورزق آبائهم، فإنهم "لا يملكون من رزقهم شيء فالذي يرزقهم الرزاق ذو القوة المتين من فضله سبحانه وتعالى"².

والنفقة على اللباس أباحها الإسلام من خلال آيات القرآن الكريم، فالإسلام دين الجمال والنظافة، وأباح للمسلم الظهور بالمظهر الطيب الجميل في ملبسه وهندامه أمام الآخرين، والمتعة من لباس وغيره. قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاتِكُمْ وَرِيثًا﴾ [سورة الأعراف:26] واللباس للأبناء هو حق على الآباء ولكن بتوسط واعتدال في هذه الزينة المباحة، واجتتاب المحرم من اللباس والزينة والمظهر للأبناء. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان:67].

¹ القاسمي، محمد جمال الدين، موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين، تحقيق: مأمون الحنان، دار الكتب العلمية، 1415 هـ، صفحة 106.

² حميد، صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، جزء3، صفحة 598.

والنفقة على اللباس والكسوة شرعها الإسلام "لوقاية من برد الشتاء وحرارة الصيف وحماية الأقدام"، إلا أن اللباس اليوم يُستخدم لغير هذه الأغراض، مثل التفاخر والشهرة والتخايل والمباهاة والتعاضم عند الأولاد. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان:18]، فهذا أمر لا يُحبّه الله عز وجل.

لذلك، فالنفقة على اللباس يجب أن يُراعى الأبناء فيها محاربة الترف الذي يؤدي إلى الانحلال، وقطع دابر التفاخر والخُيلاء من نفسية الأبناء. أما البنات فاللباس اليوم مستخدم لإظهار الفتنة والتبرج ولفت الأنظار¹. قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور:31].

فاللباس للبنات يجب أن يُراعى فيه ستر العورة، فلقد امتن الله على العباد باللباس لستر العورات، ففرض الله تعالى الحجاب على البنات وتطويل لباس المرأة، قال تعالى: ﴿يَبْنَىٰ عَادَمَ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [سورة الأعراف:27].

واللباس كحق للبنات على الآباء له شروط²:

أولاً: "استيعاب جميع البدن".

ثانياً: "أن لا يكون زينة في نفسه".

ثالثاً: "أن يكون ثقيلاً لا يشف".

رابعاً: "أن يكون فضفاضاً لا يصف".

خامساً: "أن لا يكون مُبخرأً مُطيباً".

سادساً: "أن لا يشبهه لباس الرجل".

سابعاً: "أن لا يشبهه لباس الكافرات".

¹ وزارة الأوقاف السعودية، الآداب الإسلامية، موقع وزارة الأوقاف السعودية، صفحة 24.

² عويضة، محمد نصر الدين، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والأدب، جزء 15، صفحة 142.

ثامنا: "أن لا يكون لباس شهرة وتخايل".

أما الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وهي الزينة الظاهرة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور: 31] فلا حرج فيها، أما الزينة الباطنة والمقصود منها اللباس الباطني فلا يكون إلا للأزواج والآباء والأبناء مثل "الوجه والعنق والحلي والكفين".

وحق الأبناء في النفقة على طلب العلم من الآباء هو واجب يُقدّمه الآباء للأبناء أثناء دراستهم في المدارس والجامعات فهي حاجة ضرورية للأبناء، والنفقة تكون حسب الحاجة، وليس فقط في سدّ رمقه من الجوع أو كسوة بدنه¹.

والنفقة على الأبناء في طلب العلم هو فرض كفاية كما أن طلب العلم نفسه فرض كفاية أيضاً، "فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [سورة التوبة: 122] فيكون على المؤمنين طلب العلم والتفقه في الدين، لأن حاجات الناس في حياتهم تعتمد على العلم، ولأن الإسلام في أصوله يتوقف على البيان والحجة والبرهان.

فطلب العلم للأبناء من الضروريات لمعرفة أحكام الشريعة وأسرارها، ومعرفة أحكام الدين، لكي يخافوا الله ويحذروا عاقبة عصيانه ومخالفة أمره².

النفقة على طلب العلم من الآباء للأبناء هي وسيلة في المستقبل للارتزاق بالحلال الطيب للأبناء، مما يعود بالنفع والخير على الإباء فيما بعد عند كبرهم بالسن. والنفقة على الآباء في طلب العلم للأبناء هي واجبة فإن نفقته تجب على أبيه ولو كان كبيراً، وليس له منعه من ذلك فله حق التعليم والنفقة عليه أثناء طلبه للعلم³.

¹ عويضة، محمد نصر الدين، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والأدب، المكتبة الشاملة، جزء 15، صفحة 142.

² الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418، ط2، جزء 11، صفحة 77..

³ الجزيري، عبد الرحمن بن محمد، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ، ط2، جزء 4، صفحة 512.

والنفقة في سبيل تأمين المسكن المناسب هي من الواجبات للأبناء على الآباء، فهو حاجة لا بد منها. "فالمراد من المسكن أن يستتر أهله ويحميهم من الحر والبرد والمطر، فأقله ما يجزئ ذلك من غير زينة"¹.

والمسكن لا بد منه في الجملة، فيجب الحصول عليه لنفسه ولمن تلزمه نفقته من الأبناء وغيرهم، ويعاقب على تركه ويثاب على فعله، وأما الزيادة اليسيرة من النفقة على المسكن التي لا تُعدّ في العادة والعرف إسرافاً ومجاوزة للحد فلا بأس بها ولا تتركه ويثاب عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سورة سبأ: 39].

فالنفقة على المسكن في غير إسراف لها أجر عند الله سبحانه وتعالى، ويُخلف على نفقته هذه، والانتفاع في المباني في الحلال إذا أدى جميع حقوق الله فهو مُباح. والنفقة على المسكن هدفها توفير السعادة والاستقرار للأبناء، والاستقرار "يكون بالسكينة والوقار داخل المنزل"، وخلوّه من المشاكل بكافة أشكالها، فتكون الأجواء مليئة بالاطمئنان والهدوء، وعدم الحيرة والقلق، صالحة لتربية مثمرة للأبناء بعيدة عن التوتر.

والاستقرار في المسكن يعني القدرة على الضبط والتحكّم داخل البيت، فهذه الظروف تجعل من الإنفاق على المسكن وتوفيره للأبناء ضرورة وواجب اهتمت به آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾ [سورة التوبة: 24]. وقوله تعالى: ﴿وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً﴾ [سورة التوبة: 72]².

فالنفقة من الآباء ضرورية لجميع مناحي الحياة للأبناء، حيث يقدم الآباء كل ما يلزم للأبناء لحياة كريمة تساعد على كفايتهم في العيش بسعادة واستقرار دون اللجوء إلى الاستجداء من الناس.

¹ الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، جزء 4، صفحة 214.

² المقدسي، محمد بن مفلح الراميني، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، جز 3، صفحة 425.

المطلب الرابع: حق الولد في الإحسان إليه

والإحسان إلى الأبناء يكون بمكافأة الأبناء وتشجيعهم على أعمالهم وتصرفاتهم الصحيحة التي يقومون بتنفيذها، والبعد عن الأسلوب الجاف في مجابهة الأبناء في تلك المواقف، لأن لها أثر عميق في هؤلاء الأبناء.

فمبدأ الثواب على فعل الخير يقوده إلى تثبيت السلوك السوي وتقويته، فالتصرفات الحسنة تقابل بالاستحسان فهو يزرع الثقة في نفوسهم، وتنمية جانب الخير، وتحجيم جانب الشر وإزالته. فإذا أردت أن تمارس الإحسان إلى الأبناء فلا بد من الشكر والثناء والاستحسان والابتعاد عن العقاب فإنه يؤدي إلى الخمول وضعف الإرادة وتنشيط الهمة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: 90]¹.

"فالمحسن يستحق أن يُجزى بالإحسان"، لأن هذا من العدل، والعدل واجب. قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن: 60]².

والإحسان للأبناء يكون ببذل العطايا والهدايا لهم، من باب الثواب والمكافئة لهم، ومن باب العطف والرحمة إليهم. قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة فصلت: 34]. وذلك الإحسان يكون بالدفع للأبناء على سبيل زيادة المحبة والألفة بينهم وإبعاد الخصومة في العلاقة فيما بينهم³.

والإحسان يكون بعدم فرض الرأي عليهم ومشاورتهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، فالاجماع على رأي واحد بين الآباء والأبناء يجعل العلاقة فيما بينهم أقوى وسديدة، وهي الطريق الصحيح للتوكل على الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: 159].

¹ المقدم، محمد أحمد، لماذا نصلي؟ موقع الشبكة الإسلامية، الجزء 5، صفحة 2

² الهلالي، مجدي، العودة إلى القرآن لماذا وكيف؟ صفحة 29.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/250.

والمشورة للأبناء هي من الإحسان إليهم، "فهي أعطف لهم وأطيب لنفوسهم، وأكثر إكراماً لهم ورفعاً لأقدارهم"¹.

والإحسان إلى الأبناء يكون بحسن المعاملة واللين للأبناء والرفق بهم والابتعاد عن الجفاء، والعفو عنهم والدعاء لهم بالتوفيق والهداية والاستغفار. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: 159]. فالإحسان مهم وضروري من الآباء للأبناء حتى يسكنوا إليه ولا يتفرقوا عنه². فالإحسان للأبناء يكون بالتوجيه الصحيح لسلوكهم من خلال الاهتمام بهم من الولادة حتى يكبروا، وذلك في كثير من الآيات الكريمة للقرآن الكريم.

المطلب الخامس: حق الولد في تربيته

"التربية من ربّ، وتربية وربّاه تربية، أي أحسن القيام به، ووليه حتى يفارق الطفولة سواء كان ابنه أو لم يكن، وربّ الشيء إذا أصلحها، وتربّ النعمة أي تحفظها وترعاها كما يربي الرجل ولده"³.

التربية أصلها الربّ وهو "إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام". ويقال "ربّه، وربّاه، وربّيه". والربّ من صفات الله تعالى، لأنه عز وجل "القائم بمصالح عباده من ابتداء التربية إلى آخر العمر"⁴ "ربّ البيت، أو ربّ الأسرة هو الوالد أو الأب"، وهو الذي عليه الحق الواجب في التربية للأبناء. قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۗ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش: 3-4].

والأبناء لهم حق على آبائهم بالتربية الصالحة، وإذا لم يكن الآباء عندهم المعرفة الصحيحة بالتربية السليمة، فيجب عليهم تعلّم تلك التربية والحصول على الخبرات فيها، وإلا فإنهم سوف يتعرضون للوم وتحمل المسؤولية للتربية الخاطئة لأبنائهم.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 29/4.

² البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 45/2.

³ ابن منظور، لسان العرب، جزء 1، صفحة 401.

⁴ الأصبهاني، محمد بن عبد الله، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: مصطفى آيدين، الناشر معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، 1422 هـ، ط1، جزء 1، صفحة 961.

والسعي إلى التربية المبكرة للأبناء وهم أطفال تربية صحيحة، ولا ننتظر حتى يكبر الأبناء ثم نقوم بتربيتهم، لأنه من شب على شيء شاب عليه، والتربية الصالحة لا تكون إلا في الصغر منذ نعومة أظفارهم، "فيتعهد الأبناء بالتربية السليمة والتنشئة القويمة على الأخلاق السامية والقيم الرفيعة كالصدق والأمانة والحياء والأدب والحشمة ومعاملة الآخرين بالإحسان"¹.

والعناية والنظر للأبناء بعين الرعاية تبدأ بتعليمهم القرآن الكريم تلاوة وفهما وحفظاً وتطبيقاً، ويعلمهم كيف يعلمونه لبعضهم البعض، ويعلمهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين².

فيقوم بتنشئتهم على التعاليم الإسلامية والشعائر الدينية، وترغيب الأبناء بالإيمان والطاعة، وتنفيرهم من الكفر والفسوق والعصيان، وتعويدهم القيام بشعائر الإسلام وفي مقدمتها الصلاة، "والتدرج في تعليمهم آداب الإسلام وأحكام الحلال والحرام"³ ويتم ذلك من خلال المواقف اليومية، والظروف والأحوال التي يمرون بها، فعلى الآباء أن لا يبقوا صامتين ويقومون بتذكير أبنائهم بتعاليم الإسلام الحنيف أولاً بأول، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه:132]. وتعليم الأبناء في المدارس ومتابعتهم أكاديمياً وتربوياً هو من العناية بالأبناء وتحمل نفقات ذلك، وعدم التراخي والاستهتار في هذه المتابعة والركون إلى المعلمين في المدارس فقط.

وحين تعمل التربية المبنية على الأخلاق والإيمان بالله عز وجل على إنشاء جيل يقوم بواجبه، ينشأ هذا الجيل على أن "ينسى نفسه في مقابل أن يذكر أمته ويسعى لرفعها"، حينئذ يكون الآباء قد أكملوا ما عليهم من هذا الجانب أمام الله ثم أمام الناس.

أما حين تعمل التربية على إنشاء جيل يُشبع رغباته، سينشأ هذا الجيل على أن يذكر نفسه ويهتم بها فقط، وينسى أمته التي لها الواجب الكبير في رفعها والوقوف معها، حينئذ يكون الآباء مقصرون أمام الله جل

¹ الشاعر، ناصر الدين وفريق المؤلفين، نظام الأسرة في الإسلام صفحة38.

² المشتولي، محمد بن حميد، سلوة الأحران، الإصدار الأول، الجزء1، صفحة 14.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 194/18.

علاه، وأمام الناس، ليس لهم حُجّة ولا تقبل معذرتهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ

اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٥﴾ [سورة غافر: 52].¹

والتربية من الآباء تؤدي دور كبير في سعادة الأبناء أو شقائهم، فهي تقوم بتهديب طباع الأبناء وتأسيسها على الأخلاق من خلال "الترغيب قبل الترهيب، والموعظة الحسنة قبل التأنيب، والتأنيب قبل الضرب، وآخر الدواء الكي"، وليكن الضرب ضرب تربية لا ضرب انتقام.

فلا يستعمل الآباء الضرب في تأديب أولادهم إلا حين تُخفق الموعظة والتأنيب، ويتجنب الآباء الضرب عند شدة الغضب، ويحذر مواطن الأذى في الجسم، وإظهار الحُب للأبناء أثناء العقاب، والتقليل من هذه الوسيلة في التأديب، فالأفضل "أن يهابك ويُحبك لا أن يخافك ويكرهك". قال تعالى: ﴿وَعَظُّهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾ [سورة النساء: 63].

وعدم الحكمة في تربية الأبناء وذلك بفرط التدليل لهم يؤدي إلى متاعب كثيرة للآباء، فالواجب شرعاً تربية الأولاد على هديّ الإسلام، وتعليمهم ما يهمهم في أمور دينهم ودنياهم، وغرس عقيدة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتعميق التوحيد الخالص في نفوسهم، وإشاعة أركان الإسلام في عقولهم، وصلل مواهبهم بالأخلاق ومحاسن الأدب، وحفظهم عن قراء السوء. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة المائدة: 67].²

وهذه المعالم التربوية معلومة من الدين بالضرورة، يجب على الآباء توجيه أبنائهم عليها، لأنها تُمثّل المبادئ الأساسية في العلاقة بين الآباء والأبناء. قال تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

¹ السباعي، مصطفى بن حسني، هكذا علمتني الحياة، الناشر المكتب الإسلامي، ط4، 148 هـ، صفحة 154، 175.

² السباعي، مصطفى بن حسني، هكذا علمتني الحياة، صفحة 125.

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [سورة لقمان: 13]. وقال تعالى: ﴿بِئْسَ أَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧﴾ وَلَا تُضَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [سورة لقمان: 15-19].¹

والتربية كحق للأبناء على الآباء تنقسم ببعض الاعتبارات إلى قسمين وهي: التربية العملية، والتربية القولية، ولا بُد من الآباء المميزين بحسن التربية، استعمال هذين القسمين في تربية أبنائهم ولا يكتفي بالقول والموعظة فقط، بل يجب ممارسة التربية عليهم بالعمل، فالصلاة والزكاة وكثير من العبادات والمعاملات تحتاج إلى تربية عملية يُمارسها الآباء والأبناء معاً. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه: 132]. والأمر يكون بالكلمة، أما عملاً فيكون بإقامته الصلاة وتعويد الأبناء عليها منذ الصغر، فالتربية العملية هي تربية بالواسطة دون الكلمة، أما التربية القولية فتكون في الكلمة دون الواسطة.²

والتربية العملية تكون شاقّة ومتعبة أكثر، تتطلب الجهد المستمر من الآباء حتى يستقيم الأبناء. قال تعالى: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَذُفْرًا عَلَيْكَ عَيْتِي﴾ [سورة طه: 39].

فحق الأبناء في تربيتهم يكون بإنشاء هؤلاء الأبناء حتى يكونوا جيلاً صالحاً يؤدي الدور المطلوب منه في الحفاظ على أمته من الضياع، من خلال المعالم التربوية التي قدمتها لنا آيات القرآن الكريم.

¹ محمد، بكر بن عبد الله، حراسة الفضيلة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1426 هـ، ط1، صفحة 81.

² الألويسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، ج1، ص85.

المبحث الثاني: واجبات الآباء على الأبناء

علاقة الأبناء بالآباء يذكرها القرآن الكريم ويوصي بها بطريقة مباشرة، بالألفاظ والعبارات الدالة عليها بصراحة ووضوح وبيان دون لبس، فيذكر في هذه الآيات البر والإحسان، وصلة الرحم، ثم النفقة والسكن بصريح العبارة.

المطلب الأول: حق الأبوين في البر والطاعة بالمعروف

حق الأبوين في البر والطاعة هو حكم شرعي، حكم الله به للأبناء على الأبناء من خلال آيات القرآن الكريم.

وحق البر والطاعة بالمعروف يكون بالطاعة الحسنة للأباء. قال تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِضَمَنِ عَنِّي﴾ [سورة النور: 53]، أي الطاعة بما أمر، ولا يخرج عن حدود الطاعة، وإلا فإنها تمرّد وإعراض عن الطاعة¹.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء: 59]. فطاعة ولاة الأمر ومنهم الآباء تجب على الأبناء، لأن الآباء هم ولاة أمور للأبناء. قال تعالى: ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [سورة محمد: 20-21] فأوجب الله تعالى طاعة الوالدين في غير معصية الخالق، وقرن طاعة الوالدين بطاعته، تنبيهاً على عظم شأنها وعلو مقامها، ومقدار كبير من الأهمية والاعتبار². وكان ذلك في كثير من الآيات في القرآن، وتظهر هذه الطاعة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [سورة الإسراء: 23] فتشمل "ترك التعرض لهما ببسير الإيلام النفسي فضلا عن كثيره"، وما يتبعها من كلمات غير لائقة بمكانة الوالدين السامية³.

¹ الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، 206/3.

² صافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، 1418 هـ، ط4، جزء 26، صفحة 183.

³ ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، الناشر دار المكتبي، دمشق، 1419 هـ، ط2، صفحة 278.

والبر بالوالدين أن يبتعد الأبناء عن معصيتهم وتقديم كل شيء يثبت برهم لأبائهم، فأخبر الله تعالى أن البر من إتقى معاصي الله¹. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ [سورة البقرة:189].

والبر بالآباء هو حق عظيم ومعروف لا يُجازى، وجميل لا يعلو عليه جميل، وهو موئل السعادة، قال تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْكَ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم:32] فمن كان باراً بوالديه كانت له "سبباً بتزليل البركات وإجابة الدعوات، وينشرح صدره وتطيب حياته، فكان سعيداً متواضعاً"².

والبر بالآباء يكون بالشفقة والرحمة والمحبة والعطف عليهم، والحسن واللطافة بهما، قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَرُكُودًا﴾ [سورة مريم:13].

"والبر أعم من الطاعة، فالبر يكون فيه الطاعة والتوسع في الخير"، وهذا التوسع على الأبناء أن يصلوا به إلى درجة تتشرح لها وبها صدور آبائهم، ليصلوا من هذا البر إلى درجة الإحسان³.

والبر بالآباء من أسباب الألفة، لأنه يوصل إلى القلوب اللطف، وينثبها محبة وعطف، وفي البر الرضى للآباء والناس، "ومن جمع بين رضى الله تعالى ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته"، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة:2].

والبر نوعان: صلة ومعروف، فأما الصلة فهي التبرع وبذل المال في الجهات المحمودة لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليه ويُغذيه سماحة النفس وسخاؤها ويمنع هذا البر سُخَّ النفس. قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْفَ سَخَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر:9] فإن بُخله يبعثه إلى الآباء، كما أن

البخل يبعث الآباء إلى أولادهم⁴.

¹ العسكري، الحسن بن عبد الله، الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428 هـ، صفحة 133.

² القحطاني، عبد المحسن بن محمد، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط46، 1427 هـ، صفحة 33.

³ مناهج جامعة المدينة العالمية، التفسير الموضوعي، 2، جامعة المدينة العالمية، صفحة 47.

⁴ الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1986م، صفحة 182.

فبِرّ الآباء هو من أعظم القربات التي فرضها الله تعالى على الأبناء، فذكرها الله في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، فتشمل الطاعة والألفة والصلة لهؤلاء الآباء في غير معصية لله تعالى.

المطلب الثاني: حق الأبوين في الإحسان إليهما عند الكبر

الإحسان هو: فعل الشيء الحسن، سواء كان المأمور به إحساناً إلى الناس أو إحساناً إلى النفس، وقد رغب الله عباده بالإحسان، وكلما كان العبد أكثر إحساناً كان أقرب إلى رحمة الله، وكان ربه قريباً منه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:56].

فكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن الله إليهم برحمته، فاخترت أهل الإحسان برحمة الله، "والإحسان إنما يكون لأهل الإحسان من خلقه"، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن:60]. فجزاء من أحسن عبادة ربه إلا أن يُحسنَ إليه من ربه¹.

والإحسان للآباء عند الكبر يتمثل بإعطائهم من ماله وهو راضٍ ويكفلهم بالعطاء، فأخذهم من الأبناء هو إشاعة للحب والسلام، ومكافأة والديه على إحسانهم، فهم أقرب الناس إليه، فكل محسن من الأبناء إنما يُحسن لنفسه في الحقيقة. قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [سورة الإسراء:7]. فهو مُحسن إلى نفسه بإحسانه إلى الوالدين، ويريد الجزاء من الله تعالى في الآخرة فهو أيضاً مُحسن إلى نفسه بذلك².

والإحسان عند الكبر للوالدين يكون بحُسن المعاملة وحُسن الخُلق معهم، فهو إحسان يزيد على الإحسان المالي لهم.

¹ التويجري، محمد بن إبراهيم، موسوعة فقه القلوب، الناشر بيت الأفكار الدولية، جزء، صفحة 771.

² التويجري، محمد بن إبراهيم، موسوعة فقه القلوب، 774/1.

فحُسن الخلق يُدخل السرور والبهجة إلى نفوسهم، وبذل المال أصلاً داخل في مكارم الأخلاق، ويحُسن الخلق مع الآباء يتمكن المرء من الوفاء بتلك الحقوق للآباء، فيؤدي ما عليه من واجبات نحوهم بدون نقصان وبإنصاف، فلا يبخل حينئذ بواجب. قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّبْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: 23]¹.

وقد فصل الله سبحانه وتعالى ما يجب من الإحسان إلى الوالدين إذا وصل كلٌّ منهما أو أحدهما إلى الكبر حال الضعف والعجز، "وصارا عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله"، فوجب عليك أن تحنو عليهما وتُشفق بهما، وتتطلف لهما، وتعاملهما معاملة الشاكر، لمن أنعم عليه غيره من الناس، وأن الفضل دائماً للمتقدم ولا يكون ذلك إلا بالصبر واحتساب الأجر من الله جل وعلا كما صبرا عليك في الصغر، "والابتعاد عن الضجر والملل القليل والكثير"، وعليك بالرفق واللين معهما.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّبْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: 23] والقول الكريم يكون بالقول الحسن الطيب، مقروناً بالاحترام والتعظيم، مما يقتضيه حُسن الأدب وتُرشد إليه المروءة. فلا ترفع صوتك أمامهما، ولا تحدق فيهما بنظرك، بل يكون نظرك إليهما نظر لطف وعطف وتواضع، ونظر شكر لهما. قال تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَيَّ أَلْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان: 14]².

والإحسان إلى الآباء في الكبر وشكرهما والاعتراف بحقهما، والتواضع لهما وحُسن الحديث معهما، والدعاء لهما كل ذلك نابعٌ من النية السليمة للآباء وهي³:

أولاً: "طاعة لأمر الله تعالى، فالإحسان للآباء من أعظم القربات والطاعات إلى الله تعالى".

¹ الحمد، محمد بن إبراهيم، سوء الخلق، الناشر دار ابن خزيمة، ط2، صفحة 85.

² السلطان، عبد العزيز بن محمد، موارد الظمان لدروس الزمان، ط30، 1424 هـ، جزء3، صفحة 419.

³ عثمان، سمية السيد، أوقات مليئة بالحسنات، صفحة 26.

ثانياً: "الفوز بالأجر العظيم من الله تعالى والفوز برضاه جل ثناؤه، والنجاة من الكرب".

ثالثاً: "عدم الوقوع في عقوق الوالدين الذي يمثل معصية لله وعدم قبول العمل".

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [سورة الأحقاف:15]. فالعمل الصالح الذي يُرضي الله عز وجل هو الإحسان إلى الآباء "وعدم جراته على والديه بالشم وضروب المكاره" عند استكماله الأربعين سنة¹. لأن الآباء في هذه المرحلة قد بلغوا الكبر في السن والعمر. فالإحسان هو سبب في دخول الجنة، لأنه مبني على حُسن الخلق وحُسن المعاملة من الأبناء للآباء، ويشمل القول الحسن والتواضع والشكر لهؤلاء الآباء.

المطلب الثالث: حق النفقة على الأبوين عند الكبر

والنفقة على الأبوين إذا كانوا محتاجين فإنها تجب على الأبناء سواء كانوا كباراً في السن أم غير كبار. ولكن الكبر في السن يدل على الاحتياج والفقر للآباء أكثر من أي مرحلة أخرى في حياتهم، لذلك قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة:215]. وفي هذه الآية الدلالة على "وجوب نفقة الوالدين في التطوع وليس في الفرض" وهو الزكاة، فالزكاة لا تصرف إلى الوالدين والأبناء، وإنما النفقة على الوالدين هي تطوعاً وتجب على الأبناء إذا كان الأبوين فقيرين².

والنفقة على الآباء في الكبر لها شروط عند البعض بما يوافق الإحسان إلى الوالدين كما ذكر في النصوص القرآنية وهي ثلاثة شروط³:

أولاً: "أن يكون الأصل أو الآباء فقراء أو عاجزين عن الكسب، وذهب البعض الآخر إلى اشتراط الفقر فقط، لأن إلزام الآباء التكتب مع غنى الأبناء هو ترك للإحسان إليهم وإيذاء لهم وهو لا يجوز".

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 42/5.

² الجوزي، عبد الرحمن بن علي، نواسخ القرآن، تحقيق أبو عبد الله آل زهوي، الناشر شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، 1422 هـ، صفحة 72.

³ وزارة الأوقاف، الكويت، الموسوعة الفقهية، حقوق الطبع محفوظة للوزارة، 1423 هـ، جزء 41، صفحة 76.

ثانياً: "أن يكون الأبناء موسرين وقادرين على التكتسب، وأن يكون في ماله أو كسبه فضل عن نفقة نفسه وولده وأمرته".

ثالثاً: "اتحاد الدين بين المُنفق والمُنفق عليه، وقال البعض ليس شرطاً لوجوب نفقة الآباء على الأبناء اتحاد الدين فتجب النفقة عليهما وإن اختلف دينهما".

ومن هذه الشروط فإنه ليس من الإحسان ولا المعروف أن يعيش الإنسان في نعم الله تعالى ويترك أبويه يموتان جوعاً، ويقتصر بالنفقة على نفسه وولده وامرته فقط، حتى وإن كان الوالدين كفاراً ولا يوجد اتحاد في الدين.

أما إلزام الآباء بالتكسب عند الكبر فإنه "ينمّ على سوء الأخلاق عند الأبناء بالبخل وعدم الرحمة للآباء عند كبرهما"، فالواجب على الأبناء عدم البخل على الأبوين في كبرهما وإظهار مشاعر الرحمة لهما، والإحسان إليهما بالنفقة وكفائتهما بكل ما يحتاجون، وعدم إلزامهما بالذهاب للعمل والتكسب عند الكبر والشيخوخة¹.
قال تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان: 15].

وهناك مظهر من مظاهر التكسب للآباء عند كبرهما ظهر في عصرنا الحديث، يؤثر على النفقة للآباء وقد يمنعها أيضاً، وهي مسألة الضمان الاجتماعي لكبار السن ومنهم الآباء عند كبرهما. فإن الضمان للآباء عند كبرهما لا يمنع بالضرورة في إيجاب النفقة للآباء، وخاصة إذا كان هذا الضمان غير كافي للإنفاق على حوائج الحياة، وقد ذكر الله جلّ ثناءه الكبر في السن بالقرآن وذلك "تنبيهاً للأبناء والحثّ لهما بالإنفاق على آباؤهم في هذه الفترة الصعبة وإظهار التذلل والرحمة لهما". قال تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: 23].

¹ المصدر السابق، 75/41.

فيجب عدم الاكتفاء بالضمان الاجتماعي أو قدرة الوالد على التكسب، بل يجب العطاء لهما والكرم معهما عند حاجتهما وزيادة على ذلك. قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝۷﴾ [سورة الطلاق:7]. فالإنفاق على الآباء في الكبر يجب أن تتوافر فيه صفات الكرم وعدم خشية الفقر، لأن الله تعالى سيرزق الأبناء بحسب رزقهم على آباءهم. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنبِئْهُهُ لَيْسَرًا ۝﴾ [سورة الليل:4-7].

فالإنفاق على الآباء في الكبر واجب وفلاح للأبناء، حتى وإن كانوا فقراء وذلك بإظهار الإيثار من الأبناء للآباء. قال تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝۹﴾ [سورة الحشر، الآية9]¹.

فالنفقة على الآباء إذا كانوا عاجزين على الكسب هي واجبة على الأبناء حسب طاقتهم، ويكون ذلك بتوفير الطعام والكسوة والمسكن لهما، والكرم في التعامل معهم، فيقسم الأبناء ما لديهم بين أولادهم وآبائهم بما يوافق الإحسان والبر إليهما.

المطلب الرابع: حق السكن للأبوين عند الكبر

من نعم الله تعالى "ومن سابغات فضله هذه البيوت التي جعلها الله سكناً للإنسان يأوي إليها ويجد فيها الأُنس"، فهي مما يسر الله عز وجل للإنسان. وللآباء حق على الأبناء في توفير السكن الملائم لهما عند الكبر، وغالبا يمتلك الآباء في كبرهم مساكن تويهم، هي في الأصل تكون للأسرة التي تربي فيها الأبناء وترعرعوا، ثم بعدها انتقلوا إلى مساكن أخرى خاصة بهم. ومن واجب الأبناء في هذه المرحلة العناية بمساكن الآباء حتى تبقى ملائمة للسكن، وذلك بعمل الصيانة اللازمة لها إذا لزم الأمر لذلك، حتى تبقى

¹ دراز، دستور الأخلاق في القرآن، 738/10.

ملائمة للسكن والعيش الكريم، والهدوء والاستقلال من خلال البيوت المبنية. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ

لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [سورة النحل: 80].

فالبيوت مكانا للسكينة النفسية والاطمئنان، ترتاح إليه النفس وتأمين، وذلك بالكفاية المادية للسكن والراحة، وهذا حق واجب على الأبناء للآباء في كبرهم وفي آخر حياتهم¹.

قال تعالى: ﴿وَمَتَّعَنَا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة النحل: 80] أي "إلى وقت مُعَيَّن وهو إلى أن تموت"². فهذا واجب

على الأبناء حتى نهاية حياتهم وموتهم. وتوفير السكن الملائم للآباء عند الكبر لا يعني تركهما في هذا المسكن وعدم الاهتمام بهما في الجوانب الأخرى، فهم بحاجة لمن يقوم عليهما بتوفير حوائج الحياة، ومن ذلك الاهتمام بالنظافة العامة لهما، وخاصة النظافة الشخصية داخل هذا المسكن، فقد يكون الآباء في هذه المرحلة بحاجة للخدمة والقيام بأعمال النظافة المنزلية كافة. قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا﴾ [سورة الإسراء: 23] أي لا تقذرهما، والمعنى "إذا كبر الأبوان واحتاجا إلى رفع بولهما وغائطهما فلا تأخذ بأنفك عند ذلك، ولا تعبس بوجهك، فإنهما قد رفعا ذلك منك في حالة صغرك كثيرا"³.

والسكن للأبوين عند الكبر كحق وواجب لهما يكون بالحضانة لهما عند الشيخوخة، وجعلهما في نفس المسكن للأبناء أو قريب منهما، "ولا يجب العدول عن ذلك من باب ردّ الجميل"، فهما وصلا إلى حال الضعف والعجز، وصار عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله، فيجب على الأبناء أن يحنوا عليهما والتلطف بهما ومعاملتها معاملة الشاكر. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْغُضُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ

كِلَاهُمَا﴾ [سورة الإسراء: 23]⁴.

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، 2186/4.

² ابن جزري، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، 1416 هـ، ط1، جزء 1، صفحة 433.

³ السمرقندي، نصر بن محمد، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، 127/1.

⁴ المسلمان، عبد العزيز بن محمد، موارد الضمان لدروس الزمان، ط30، جزء 3، صفحة 419.

(وعندك) تعني أن يكون الآباء عند أبنائهم وليس عند غيرهم، وأخص بالذكر في دور رعاية المسنين، فلا يجوز وضع الآباء إذا كبرا أو كبر أحدهما، أن يتم التخلّص منهما بوضعهما في دور المسنين، بل يجب أن يبقيا تحت كنف الأبناء وفي بيوتهم. ومعنى (عندك) عند كثير من المفسرين تذهب إلى المعنى الذي قلناه وهو "أن يكبرا ويعجزا ولا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه، وذلك أشد امتثالا وصبرا، وهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال"¹. فتوفير السكن الملائم للآباء هو حق واجب على الأبناء سواء كان الأبناء قريبين أو بعيدين عن مسكن الآباء أو في مسكن مستقل، فهو من باب ردّ الجميل والشكر لهما.

المطلب الخامس: حق صلة الرحم للأبوين في حياتهما وبعد الممات

"اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة"، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [سورة النساء: 1]، فصلة الرحم فرض من الله عز وجل، "وهي حق لازم في البر على كل حال"². وصلة الرحم الأولى للأبناء تكون للأبوين، ثم الأقرب فالأقرب، وتكون بحسن المعاشرة والبر عليهم بكل أنواع البر. قال تعالى: ﴿وَوَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [سورة الإسراء: 26]. وحق ذوي القربى ومنهم الآباء يشمل كل أنواع الإحسان إليهم من النفقة والتعامل معهم بالإخلاق الحميدة، والعناية بهم في دينهم ودنياهم والدعاء لهم. وصلة الرحم هي أمر من أوامر الله للأبناء. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [سورة الرعد: 21].

والمراد بصلة الرحم أن تكون للآباء بمساعدتهم بعد أن فقدوا أسباب العمل، ولم تنتهياً لهم طرق الكسب، وأن يعاملوهم معاملة الرفق واللين، فنحترمهم في كبرهم، ونُجَلِّهم ونغض الطرف عن زلاتهم، ونقابل الإساءة بالإحسان لا بالاستكبار والانتقاص، فهم "أولى الناس بمودتك وعطفك ورحمتك"³.

¹ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، صفحة 657.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 6/5.

³ المسلمان، عبد العزيز بن محمد، موارد الظمان لدروس الزمان 463/3.

وصلة الرحم للأبَاء في حياتهما "يلزمها الاستمرار والتجدد، وهذا ما أفادته صيغة المضارع في قوله تعالى (يصلون)" فصلة الرحم للأبوين هي حق أكيد من الأبناء، لأن الله عز وجل أمرهم بوصلها فلا يقطعوها، ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها، فيعاقبهم على قطعها، وعلى خلافتهم أمره، فيقول الله تعالى في آخر الآية: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [سورة الرعد: 21]¹.

فعلى الأبناء أن يخشوا وعيد ربهم عموماً، ويخافوا سوء الحساب، فيحاسبوا أنفسهم خصوصاً قبل أن يحاسبوا، فأولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار في الآخرة بعذاب جهنم، وسوء العاقبة في الدنيا. قال تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: 25]².

فصلة الرحم، يجب أن لا تنقطع ما دامت الحياة للأبَاء، وهي من باب البر والإحسان، ونيل الأجر من الله تعالى، وتجنب عقابه في الدنيا والآخرة، وهي من صفات السعداء، وجزاءهم عليها الثواب الكبير الذي أعدّه الله لهم في دار الكرامة. أما قطع صلة الرحم فهو "قطع ما أوجبه الله من صلة لذوي الرحم والقربان وسائر أصحاب الحقوق وعدم التعاون معهم"، وهذه من صفة الأشقياء التي وصفها الله تعالى لهم، وهياًه الله لهم من عذاب النار والوعيد والعقاب³.

وصلة الرحم للأبوين بعد الممات تكون بأن يرضيهما بعد وفاتهما وذلك بثلاثة أشياء⁴:

أولها: "أن يكون الولد صالحاً في نفسه، فيرضى عنه الله ويرضى عنه الوالدين".

ثانيها: "أن يصل قرابتهما وأصدقائهما".

ثالثاً: "أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عنهما".

¹ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 508/13.

² البيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، 187/3.

³ الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418 هـ، جزء 13، صفحة 159.

⁴ السمرقندي، نصر بن محمد، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، صفحة 128.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ

لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنَّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ [سورة الأحقاف: 15].

ويمكن القول أن للوالدين على الولد عشرة حقوق هي¹:

أولاً: "إذا احتاج إلى الطعام أطعمه".

ثانياً: "إذا احتاج إلى الكسوة كساه".

ثالثاً: "إذا احتاج إلى الخدمة خدمه".

رابعاً: "إذا دعاه أجابه وحضره".

خامساً: "إذا أمره أطاعه ما لم يأمره بالمعصية والغيبة".

سادساً: "أن يتكلم معه باللين ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ".

سابعاً: "أن لا يدعوه باسمه".

ثامناً: "أن يمشي خلفه".

تاسعاً: "أن يرضى له ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه".

عاشراً: "أن يدعو له بالمغفرة كلما يدعو لنفسه".

فأول الأقارب وأولاهم بصلة الرحم هم الآباء، فهي صلة واجبة، فالآباء هم أحق الناس وأحقهم على

الإطلاق بتلك الصلة ما دامت الحياة وبعد الممات، وذلك بالكلام الطيب والزيارة المتواصلة والسلام

والسؤال عن الأحوال، وفعل ما ينفعهم من سائر الأفعال والأعمال.

¹ المصدر السابق، صفحة 129.

المبحث الثالث: مقاصد علاقة الآباء والأبناء في القرآن الكريم

ترتبط علاقة الآباء والأبناء بالضرورات الخمس، التي جاءت الشرائع والرسالات بحفظها وهي: الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل. وذلك لأن مصالح الناس الدنيوية والأخروية إنما تكون بحفظ مقاصد الشريعة، ومنها هذه الضرورات التي تعتبر قاعدة عظيمة لحفظ علاقات الأفراد، ومنها علاقة الآباء والأبناء. "فالقرآن الكريم أتى بها أصولاً يرجع إليها، فالضرورات الخمس تأصلت في الكتاب لمعرفة المصالح في الدارين جلباً لها والنُّبُذ عن المفساد.

المطلب الأول: مقصد حفظ الدين

"حفظ الدين يحصل في ثلاثة معان وهي: الإسلام والإيمان والإحسان"¹

وقد اصَّ القرآن الكريم هذه المعاني في آيات كثيرة وربطها بالعلاقة بين الآباء والأبناء، فالنسبة لحفظ الإسلام كدين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت: 33].

فيكون حفظ الدين من التبديل فيه، والحثُّ على العمل به من غير إهمال له، بعد أن يتم تثبيته في القلوب، من خلال الاعتزاز بالشرعية الإسلامية التي أوجدت الأحكام التي تهتم بالعلاقة المثالية بين الآباء والأبناء، وإعداد جيل لمحاربة أعداء الله دفاعاً عن الدين والعقيدة². قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [سورة النساء: 125].

¹ القاسمي، محمد بن جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد عيون السود، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ، جزء1، صفحة 117.

² النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر للنشر، ط25، 1428 هـ، صفحة 61.

وحفظ الدين من خلال العلاقة بين الآباء والأبناء يتم "بحفظ الإيمان والعقيدة"، فيكون الآباء ورعون عن محارم الله، يأمرون بحقه، ويدعون الأبناء إلى طاعته. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الطور: 21].

فالمتعارف أن الأبناء يتبعون دين آبائهم، فأخبر الله تعالى أن المؤمنين تتبعم ذريتهم في الإيمان، فيكونون مؤمنين كأبائهم، وإن لم يكونوا في التقوى والأعمال كالآباء فإنه "يلحق الأبناء بمراتب أولئك الآباء كرامة للآباء". ولفظة أَلْحَقْنَا تقتضي أن للملحق بعض التقصير في الأعمال، (وما ألتناهم) بمعنى النقص، "فإن الله يلحق المقتصر بالمحسن ولا ينقص المحسن من أجره شيئاً"¹.

فالأصل في العلاقة بين الآباء والأبناء هي حفظ الدين بحفظ الإيمان والإسلام والإحسان بأنواعه، وأن الأبناء هم تبع للآباء في دينهم وإسلامهم وإحسانهم، "وفي ذلك مصلحة للدين بحفظ الأتباع من الكفر"².

فجاء حفظ الدين من خلال الوازع الديني، وهو وازع الإيمان الصحيح المنفرد من الرجاء والخوف، فيكون تنفيذ الأوامر والنواهي حسب دين المخاطبين، ومثالها محرمية الآباء والأبناء. قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَحْذَرُوهُ﴾ [سورة البقرة: 235].

والمقصود بالدين هو "جملة ما فيه من عقائد وشرائع وأحكام"³. ونرى أن حفظ الدين أيضا يكون من الأبناء للآباء بمعونتهم على إقامة العبادات في وقتها، وأداء زكاة أموالهم إن كانت لهم أموال، وتأدية فرائض الدين جميعها بمعونة الأبناء قبل الوداع والموت.

¹ ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام محمد، دارالكتب العلمية، بيروت، 1422. ط1، جزء5، صفحة 189.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/16.

³ ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1421 هـ، صفحة 386، 387، 261.

المطلب الثاني: مقصد حفظ النفس

"حفظ النفس في الدنيا يكون بحفظها عن جميع الآفات، ويكون حفظها في الآخرة بدفع العقوبات"¹. وآيات القرآن الكريم التي تُبين أحكام القتل تزرع في نفوس الناشئة احترام الأرواح والنفوس والبعد عن التفكير بالثأر أو الاعتداء، والناشئة هم الأبناء الذين يتلقون التدابير للوقاية من ارتكاب جرائم القتل عامة، ومن تلك التدابير: بناء العلاقات الاجتماعية على المحبة والمناسحة والمناصرة بالحق، والنهي عن أسباب الخلافات والفرقة، وإصلاح ذات البين².

وحفظ النفس بين الآباء والأبناء ذكر آيات القرآن الكريم، خاصة إقدام الآباء على قتل أطفالهم وأبنائهم. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ الْكَثِيرِ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [سورة الأنعام: 137].

والشركاء "هم الشياطين، أو خدمة الأوثان، أو الغواة من الناس"، فزينوا لهم قتل أولادهم لسببين: أحدهما: أنه "كان أحدهم يحلف إن ولد له كذا كذا غلام أن ينحر أحدهم كما حلف عبد المطلب في نحر ابنه عبد الله". والثاني: "أنه وأد البنات خيفة الفقر"³.

وهذان السببان في عصرنا هذا تخلو منهما مجتمعاتنا الإسلامية، لأن الأحكام الواردة في القرآن الكريم التي تختص بقتل الأولاد عالجت ذلك الأمر علاجاً تاماً وقضت عليه بشكل كامل، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام: 15]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْمُؤْمِنَةُ سَلَّتْ ۗ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۗ﴾.

¹ الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ، ط1، صفحة 262.

² الفحل، ماهر ياسين، حرمة المسلم على المسلم، المكتبة الشاملة، جزء 1، صفحة 79.

³ الماوردي، النكت والعيون، جزء 2، صفحة 174.

فهذه الآيات كانت إبطالا لمعذرتهم: لأن "الفقر قد جعلوه عذرا لقتل الأولاد"، والفقر لا يصلح أن يكون داعيا لقتل النفس¹.

وحفظ النفس من خلال علاقة الآباء مع الأبناء يكون بمنع الإجهاض واسقاط الجنين عمداً قبل موعد ولادته، ويتم الإجهاض في المجتمعات المعاصرة بسبب عدم رغبة الآباء في الإنجاب بداعي تحديد النسل. أو التخلص من الحمل لأنه حصل بطريق الزنا، أو خوف الأم على قوامها وجمالها بسبب الحمل، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام:140]. والإجهاض هو قتل نفس بغير حق. فكان ما لزمهم بسبب ذلك الخسران/ السفاهة وعدم العلم. فكان الخسران بسبب أن الولد نعمة عظيمة من الله على العبد فإذا أبطلها فقد خسر خسراناً عظيماً.

"وأما السفاهة فهي من الخوف المذموم"، لأن قتل الولد للخوف من الفقر قديماً، أو للأسباب المذكورة سابقاً، فالقتل أعظم ضرراً، وعدم العلم تؤد من هذه السفاهة، فلا شك أن الجهل أعظم المنكرات والقبائح². والمصيبة الأعظم والجريمة الشنعاء في أن الآباء قد يلجأون إلى قتل الأولاد من الزنا، أو الاغتصاب بعد ولادتهم، للتهرب من العار الذي لحق بهم، وهذا عذر أقبح من ذنب، لأن قتل الأولاد في هذه الحالات مقدم على كل جنائية غيرها، ولأن قتل الأولاد هو قتل عمداً، والقتل العمد هو أعظم الجرائم عند الله.

إذن فالعلاقة بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم قائمة على حفظ حياة البشر ولا تصلح ولا تستقيم ولا ترتفع ولا تصبح لائقة بالإنسان إلا بهذا التوحيد الذي له تأثير كبير في صلاح البشرية³. فحفظ النفس يكون بحفظها منذ أصولها، بشرعية التناسل بالابتعاد عن الحرام كالزنى، ثم حفظ بقائها بعد خروجها من العدم إلى الوجود بتوفير مقومات الحياة من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن وغيرها، وحماية هذه النفس من خلال الحدّ والقصاص⁴.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 159/98.

² الرازي، مفاتيح الغيب، 161/13.

³ التويجري، موسوعة فقه القلوب، 1732/2.

⁴ الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، مكتبة الهداية، الدار البيضاء، ط2، 1432، صفحة 179.

أما حفظ النفس من خلال الأبناء للأباء يكون برعايتهم حق الرعاية، والبرّ والإحسان إليهم في الكبر والشيخوخة، وحمائتهم وتقديم العون لهم للاستمرار في حياة كريمة حتى الممات والفرار.

المطلب الثالث: مقاصد حفظ النسل

حفظ النسل يكون بالزواج الحلال، والابتعاد عن الزنى، وحسن اختيار الزوج أو الزوجة الصالحة، ويكون أيضاً بحسن تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة¹. من أجل ذلك خصصت آيات كثيرة من القرآن الكريم جانبا كبيرا لأحكام الرضاع والزواج والحضانة وغير ذلك، مما يحفظ الأسرة من التشتت والضياع².

وحفظ النسل بتحري النكاح، يكون بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: 187]، وهي "أن الله جعل لنا شهوة النكاح لنتحرى طلب النسل الذي يكون سبباً لبقاء نوع الإنسان كما قدرها الله تعالى"، فيجب على الإنسان أن يتحرى بالنكاح ما جعل الله له بالشرع، ومن تحرى النكاح حفظ النسل وصيانة النفس على الوجه المشروع، فقد ابتغى ما كتب الله له³. وبعد ذلك يتم حفظ النفس بالاعتناء بالحمل والولادة، وتربية الأولاد. قال تعالى: ﴿وَحَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا﴾ [سورة النبا: 8] أي ذكورا وإناثا، وذلك ليتم الائتناس والتعاون على سعادة المعيشة، وحفظ النسل وتكميله بالتربية⁴.

ويتم من خلال ذلك توفير العيش الآمن للأبناء، يترععون فيه من غير خوف يُهدد كيانهم النفسي، ومن غير أن يفقدوا حنان الأم والاعتزاز بالأب، ورعاية كل منهما، وجعل علاقة الأبوين على درجة من المتانة ليس فيها أي خلل أو شك ينغص على الأسرة حياتها⁵.

وحفظ النسل في علاقة الآباء مع الأبناء يكون بحفظ الإنساب، والجنايات على الأنساب، وإفساد الأنساب يكون بسبب الإقدام على الزنا والقذف.

¹ مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية: أصولها وتطورها، عالم الكتب، (د.ت) 1425 هـ، صفحة 70.

² النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبه، دار الفكر، ط25، 1428 هـ، صفحة 64.

³ الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، (د.ت) 1405 هـ، جزء 8، صفحة 478.

⁴ القاسمي، محاسن التأويل، 389/9.

⁵ النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبه، صفحة 61.

والزنا اشتمل على أنواع من المفساد تؤثر في العلاقة بين الآباء والأبناء أولها: "اختلاط الأنساب واشتباها فلا يتعرف الإنسان أن الأبناء الذين أتت بهم الزانية أهو منه أو من غيره، فيفقد الأبناء حق النسب للآباء. وثانيهما: أن الآباء لا يقومون بذنبيتهم وتعهدهم"¹.

وثالثهما: "ضياح الأولاد، وهذه الأمور الثلاثة توجب انقطاع النسل وخراب العالم"².

إذا فحفظ النسل يكون بمنع اختلاط الأنساب. لأنه عدوان على حقوق الأزواج، وحلّ روابط الأسرة، وقطع ما بين الآباء والأبناء من تعاطف وتراحم وإيثار، فعاطفة الأبوة تملأ قلوب الآباء إذا وقع في نفوسهم وقوعاً محققاً، أن هؤلاء الأبناء من أصلابهم، ومن هنا تقوم في أنفسهم الدواعي القوية لرعاية هذا النسب وهم الأبناء، وبذل الجهد لهم حتى ينمو ويزهوا ويثمروا"³.

ويتم حفظ النسل من خلال حفظ الأنساب أيضاً، من خلال العدة للطلاق، أو المتوفى عنها زوجها، فإن آيات القرآن الكريم شرعت للنساء حكماً في هذا الشأن. واهتمت آيات القرآن الكريم بالمقصد الشرعي وهو حفظ الأنساب، فإذا انقضى حق الرجل بعد انقضاء العدة، فللنساء أن يفعلن في أنفسهن ما يشأن من معروف⁴. قال تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [سورة الطلاق: 1]. أي "اضبطوها وأكملوها ثلاثة أقرأ كاملة لئلا تختلط الأنساب"⁵.

وحفظ النسل يتم بحفظ الأنساب في هذه الحالة من خلال العدة، فيمتنع الزوج عن وطء طليقته لئلا يحصل من ذلك الوطء حمل. وحكمة هذه العدة هو التعرّف على براءة الرحم فلا تختلط الأنساب، لأن الله تعالى لا يحل للنساء أن يكتمن شيئاً مما في أرحامهن من حمل أو حيض⁶. قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئَصْنَ

بَأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ [سورة البقرة: 228].

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، 233/14، 283.

² المصدر السابق، 332/206.

³ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1202/9.

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 445/2.

⁵ الصابوني، صفوة التفسير، صفحة 375.

⁶ الزحيلي، التفسير المنير، 320/2.

فحفظ ما تناسل من الإنسان من الهلاك هو "حماية من الفساد العام". قال تعالى: ﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ¹ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة:205]، "قاله يبغض الفساد ولا يحب المفسدين الذين يهلكون النسل من الذرية والولد، فيكون إفسادها تدميراً للإنسانية"¹.

وحفظ النسل يتم من خلال عدم جواز التبني وهو "إلحاق غير الأبناء بالآباء، ومعاملتهم معاملة الأبناء من الأصلاب في الميراث وغيره، وومن النسب إليه وإلى اسمه". فهو تضييع للأنساب، وتزييف للواقع، لأن متبناه لا يكون ابناً له، ومن أجل هذا فقد جاء التوجيه السماوي بإنهاء هذه العلاقة المصطنعة بين الأدياء وهم المتبنون والآباء، وإقامة علاقة أخرى مقامها وهي علاقة الأخوة في الدين، والولاء لله، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا² آبَاءَهُمْ فَاَحْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [سورة الأحزاب:4-5]².

وهناك أمر يتعلق بالتبني خطأ وهو كفالة اليتيم أو الأطفال الذين ليس لهم أسرة أو آباء يقومون عليهم، فهذا غير ذلك، فهو على العكس أمرٌ مستحب، وشجعت عليه آيات القرآن الكريم وجعلت له أحكاماً خاصة به، فهو لا يتعارض مع المقصد الذي نحن بصددده وهو حفظ النسل.

فتم حفظ النسل باعتناء الشريعة بأمر النكاح، لأنه "أسمى مقاصدها وأصل وجذر نظام العائلة بثبوت الانتساب بنسبها، ومنع اختلاط الأنساب"، واستقراء مقاصد الشريعة من النسب، أفادنا أنها تقصد إلى نسب لا شك فيه، فصدق انتساب النسل إلى أصله يسوق النسل إلى البر والرأفة والحنو على نسله بدافع نفساني، كما يعمل على إقرار نظام العائلة ودرء الخصومات الناشئة من الغيرة وغيرها من الأسباب.

¹ الصابوني، صفوة التفسير، صفحة 118.

² الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 48/11.

وحقّ الأب في اولاده الذين جعلهم الشرع نسلاً منه هو "حقّ من المرتبة الثانية بعد حقّ الأبناء في أبدانهم ومشاعرهم أولاً"، وهو مقصد وغاية وعلة لمقصد حفظ النسل¹.

ويتضح لنا أن حفظ النسل يجعل الأبناء أكثر حنوّاً وعطفاً على الآباء في كبرهم أيضاً، مما يقتضي استمرار البر والإحسان للآباء حتى نهاية العمر.

المطلب الرابع: مقصد حفظ العقل

حفظ العقل من خلال علاقة الآباء مع الأبناء تبدأ منذ الصغر والطفولة، وذلك بالاهتمام بتعليمهم وتزويدهم بالمعرفة. والحرص على طلب الدين والحق والصواب، فيتعلمون دين الله وفرائضه وأمره ونهيه. فيتم تحصين عقولهم وحفظهم من وساوس الشياطين من الإنس والجن، وترك خطوات الشيطان وطريقه.

التقليد والاتباع للآباء:

وعندما يكبر الأبناء ويصبحوا في سنّ البلوغ والرشد ولم يتم تحصين عقولهم وحفظها بالعلم والمعرفة تبرز حينها المشكلة التي تعمل على لجم عقولهم وتفريغها، فيستكبرون عن الإذعان للحق بقولهم: بل نأتمّ بأبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه من تحليل وتحريم، أي نقلدهم بدون تفكّر فيكونون بذلك "لا عقل لهم ولا تمييز"².

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ

ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٧٧﴾ [سورة البقرة: 170].

هذا إذا كان آباءهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق، وهذا هو التقليد، أما الاتباع فيكون لمن "قدّر على النظر والاجتهاد"، وإذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله³.

¹ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، صفحة 434، 441، 442، 421.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 304/3_308.

³ البيضاوي، انوار التنزيل وأسرار التأويل، 119/1.

وسائل حفظ العقل وتحصينه من الهوى والباطل:

والتقييد بالعقول السليمة لا بد له من معاني حقيقية ومعاني حرفية عامّة بعيدة عن الأوهام والتخيلات مثل الخوف من الميت عند الخلوة، وهذه المعاني لها شروط ومثالها الابتعاد عن كل ما يؤثر في البنوة الحقيقية في العلاقة بين الآباء والأبناء، وهذه المعاني يحصل بها اليقين بأنها مقاصد شرعية، ومنها مقصد حفظ العقل¹.

فالحاجة ماسّة لحفظ هذا العقل ليؤدي مهامه المطلوبة منه، لحفظ علاقة الآباء مع الأبناء من وسائل الهلاك والدمار. ويمكن إيضاح ذلك في النقاط التالية²:

أولاً: "الأخذ بكل ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشارحة لهذا القرآن، والإيمان بهما والعمل بمقتضاهما من خلال التعامل مع الحضارات الأخرى التي تبثّ السموم في عقول المسلمين وصحة الفهم لمقاصد الشريعة وسلامة المعلومات، وصحة الاستنباطات والاستنتاجات والتحليلات".

ثانياً: "أن لا يكون العمل إلا بدليل شرعي للأعمال العقدية والتعبدية والمعاملات، حتى يحدث اليقين العقلي بصحة تلك الأعمال والابتعاد عن الظن من خلال الدليل الشرعي الذي يوجه تلك الأعمال".

ثالثاً: "توعية الآباء والأبناء بالعلم الصحيح ومحاربة البدع والشبهات".

رابعاً: "محاربة المسكرات والمخدرات لأنها تُدمر العقل وتُعطله وبالتالي، ينحرف بتصرفاته عن مواصفات الرجل العاقل المتزن الذي يقيّم الأمور ويعالجها بحكمة وروية سواءً من الآباء أو الأبناء".

خامساً: "أن يعرف الإنسان محدودية عقله، فعليه طلب العلم باستمرار".

سادساً: "احتضان وتنمية المواهب والقدرات العلمية للأبناء من خلال متابعة الآباء لهم وتوجيهها".

سابعاً: تربية العقل على التدبّر واستعمال طرق التفكير الصحيحة.

¹ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، صفحة 252. 254.

² الحازمي، خالد بن حامد، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1422 هـ، العدد 116، صفحة 466.

والجانب العقلي هو "مناط التكليف، وهو القوة التي يدرك بها الإنسان الأمور، فهو الأداة لمعرفة الحق" فاهتمت التربية الإسلامية بحفظ العقل وتمميته وجعله من الضروريات الخمس التي لا يستغني عنها الإنسان، وحددت التربية المبنية على الإسلام للعقل مساره الصحيح والحدود التي لا ينبغي أن يتجاوزها، وجعلت الشرع نبراسه ونوره الذي يستنير بتوجيهها له. قال تعالى: ﴿كَمَا زَيَّنَّا لِلْإِنْسَانِ مَا يَدْرِكُ﴾ [سورة الإسراء:24]. فهي تربية عميقة الفائدة، ولا سعادة للأبناء في الدار الدنيا والآخرة إلا بها¹.

وهناك وسائل لتربية العقل مما يساعد على حفظ العقل، يستطيع أن يستجد بها الآباء والأبناء داخل الأسرة، ويستخدمها المعنيون أيضا في المدارس وفي كافة الجهات التربوية، ويمكن عرض ذلك فيما يأتي²:

أولاً: "تدبر آيات الله القرآنية عبادةً وفقه وتتمية للعقل على الخير"

ثانياً: "تدبر آيات الله الكونية المبنية في الكون لزيادة إيمانه وتوسيع آفاقه وتفكيره"

ثالثاً: "تدبر عواقب ما يريد أن يُقبل عليه مما يساعد على نمو الجانب التفكيرى وحسن تقبل الأمور"

رابعاً: "حُسن النقد والتمييز حتى يتم تنمية التفكير لتمييز بين الحُسن والقبح"

خامساً: "تدبر الماضي التاريخي، فهو عبرة يعتبر بها الإنسان، وقد نبّه القرآن الكريم إلى أهمية الاستشراق للتاريخ لتقوية الجانب التفكيرى والإيماني".

سادساً: "ربط التفسيرات للحوادث الكونية والتاريخية والاجتماعية في ضوء الشرع، لمعرفة الجوانب المادية والمعرفية لتلك الأحداث".

سابعاً: "عدم الاتكال في التنظيم والتخطيط وإيجاد الحلول والبدائل على الآخرين، ويُسمح بالاستعانة بهم بدون الاتكال الكلي".

¹ الحازمي، خالد بن حامد، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، صفحة 486.

² المصدر السابق، صفحة 480_490.

ثامنا: "تعلّم العلم الشرعي والعلوم الأخرى التي يحتاجها الإنسان لأنها لقاح العقول، وهي الوسيلة الأحسن والأكمل للسعادة بين الأبناء والآباء".

تاسعا: "الحوار والمناقشة في تصحيح المعلومات الخاطئة والباطلة، فهو أسلوب يعمل على الإبداع وحسن التفكير".

عاشرا: "ضرب الأمثال وتعقبها يثير الجانب الذهني عند الآباء والأبناء وتوسيع الآفاق لهذا الجانب"¹.

تلك بعض الوسائل التربوية التي تهدف إلى حفظ العقل، وتعمل على تربيته وزيادة مقدرته في الفهم لتحقيق العبودية لله تعالى، وعمارة الكون بما يرضي الله، ويدخل في تلك الأهداف العلاقة بين الآباء والأبناء المبنية على البر والإحسان.

المطلب الخامس: مقصد حفظ المال

حفظ المال يتم بصونه عن الفساد والبوار والتلف، وذلك بإنفاقه بما شرع الله تعالى، وترك الربا وملازمة التقوى في التصرف بالمال. والتصرف بالمال من خلال علاقة الآباء مع الأبناء يكون تصرفاً ممدوحاً بالإنفاق على أبنائه وأسرته، وتوفير العيش الكريم لهم من مأكل وملبس ومسكن، "فالمال شيء ينتفع به نوع الإنسان ويحتاج إليه"².

والتصرف الممدوح يكون "في التدبير في نفقته حتى لا يفتقر، والتوسط في الأحوال والإنفاق، والتدبر هو حفظ المال وهو الاحتياط في صرف المال"³.

أما التصرف المذموم بالمال في العلاقة بين الآباء والأبناء فيكون بالتبذير للأموال على الأبناء دون وجه حق، وإعطائهم فوق الحاجة من الأموال. قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة النساء: 5].

¹ الحازمي، خالد بن حامد، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، صفحة 480_490.

² الرازي، مفاتيح الغيب، 495/9.

³ ابن حميد، صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم عليه السلام، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، (د.ت) ط4، صفحة 4119.

والسفيه: الجاهل وسفه والسفاهة: خفة الخلم أو نقيض الخلم، ويقال سفه فلان رأيه إذا جهله وكان رأيه مضطرباً لا استقامة فيه¹.

والسفيه: "هو البالغ إذا كان مُبذراً للمال مفسداً له من غير فائدة"، فهذه الآية الكريمة هي خطاب للأبناء فنهاهم الله تعالى إذا كان أولادهم سفهاء، لا يستقلون بحفظ المال وإصلاحه أن يدفعوا أموالهم أو بعضها إليهم، لأن ذلك من الإفساد، فهذا النهي هو حفظ للمال، والسعي في أن لا يضيع ولا يهلك، وأنه يجب عليه أن يوصي بما له إلى من يحفظ ذلك المال على ورثته².

والتصرف المذموم بالمال يكون بالشح والبخل بإنفاق هذا المال، وحرمان الأبناء من الانتفاع به. قال تعالى: ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شِحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة التغابن:16]. والشح "يكون بادخار المال والإقلال من نفع الغير به"، فالإنفاق يقي من الشح المنهي عنه، فإذا يسر على المرء الإنفاق بما أمر الله به فقد وقى شح نفسه، وهذا من الفلاح³. والإنفاق هو خير من الإمساك، لأن فيه حفظ الأبناء والأسرة من التفكك.

والشريعة الإسلامية لم تحت بصراحة على اكتساب المال، "وبيان محاسن اكتسابه بالسعي والكّد، لأنها حذرت من تكالب الأمة على اكتساب المال والافتتان به". قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة التغابن:15]. وقال: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ [سورة سبأ:37]. "والمقصد الشرعي في الأموال كلها خمسة أمور: رواجها، ووضوحها، وحفظها وثباتها، والعدل فيها". وما يهمنا هنا هو حفظ الأموال والعدل فيها، فالأصل في حفظ الأموال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة النساء:29].

¹ ابن منظور، لسان العرب، 497/13، 498.

² الرازي، مفاتيح الغيب، 495/9 - 496.

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 289/28.

أما العدل فيها هو "كيفية الحصول عليها أو إنفاقها بوجه غير ظالم مثل الأموال التي هي غذاء وقوت"¹. فعلاج ذلك هو الاعتدال في الإنفاق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء: 29]، فقام القرآن الكريم بإدانة البخل والتبذير في آن واحد، فهما يعرضان صاحبيهما للوم والعسر².

وكسب الرزق والسعي في سبيله بكل الأساليب المشروعة هو واجب على القادرين من المكلفين، لأن في ذلك دفعا للضرر عن النفس والولد، وهو مما أوجبه الشرع والعقل وحثا عليه. قال تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [سورة تبارك: 15].

"فطلب الرزق تصحيح لحالة التواكل والكسل، فإن حُسن التوكل على الله لا يقتضي القعود عن طلب الرزق"³. وهذا من الأسباب لحفظ المال بين الآباء والأبناء، لأن العمل وكسب الرزق يُعطي استمرارية في توفير المال للأسرة، مما يوفر مقومات الحياة لتلك الأسرة وأفرادها من الآباء والأبناء. وحفظ المال من خلال العلاقة بين الآباء والأبناء يكون بالعدل بين الأولاد في العطايا أيضا، فالآباء عليهم التسوية بين الأبناء في المأكل والملبس والعطاء والهبات، حتى وإن كان بعض الأبناء يبزّه أكثر من الآخر⁴.

فلا يجوز تمييز أحد الأولاد، بعبء أكثر من الآخر في النفقة أو الهبة، لأن ذلك يزرع الكراهية في النفوس ويُعلم الأبناء الأنانية. فالعدل في الإنفاق هو حفظ حق كل الأبناء في النفقات والهبات، وهي حفظ للأموال المستحقة عليهم من الآباء. "لأن الله تعالى أوجب على الآباء المساواة والعدل بين الأبناء"⁵. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النحل: 90].

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 453، 477.

² الدرزا، دستور الأخلاق في القرآن، 328/1.

³ مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية: أصولها وتطورها، صفحة 60.

⁴ العثيمين، محمد بن صالح، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، الناشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية، 1408 هـ، صفحة 94.

⁵ مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية: أصولها وتطورها، صفحة 208.

"والعدل هو مفروض من العقائد والشرائع، ومنها اعطاء الحق، والإنصاف"¹. الذي هو عماد مقصد حفظ المال داخل علاقة الآباء والأبناء في القرآن الكريم.

ومقصد حفظ المال في العلاقة بين الآباء والأبناء يكون بحفظ الحقوق في الميراث للأبناء جميعاً سواء كانوا صغاراً أو كباراً، رجالاً أو نساء: فأمرهم الله في أن يقسطوا فيهم، ويعطوهم فرائضهم على ما قسم الله لهم في كتابه العزيز، فكانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات. كما يفعل بعض الأسر في عصرنا هذا. قال تعالى: ﴿فِي يَتَامَى الْيَسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ﴾ [سورة النساء: 127]. فكانوا لا يورثون الصغير والضعيف شيئاً، فأمر الله أن يُعطى نصيبه من الميراث. ويشمل ذلك اليتامى من الذين لهم الحق في الميراث لقوله تعالى: ﴿لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ [سورة النساء: 127].

والقسط: "أن يعطى كل ذي حق منهُم حقه، ذكراً كان أو أنثى، الصغير منهم بمنزلة الكبير"².

فالنساء والصبيان من الأبناء لهم الحق كاملاً في الميراث مثل الرجال والكبار. قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [سورة النساء: 11]. أي: "يبين الله حق الميراث للذكور والإناث جميعاً"³. فمن يمنع الأبناء الضعفاء أو الصغار من هذا الحق وقع بالإثم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة البقرة: 188].

فقد دخل في حدود الحرام، وهي حُرمة المال، ونهى سبحانه وتعالى عن العدوان على هذه الحرمة، "فهي تدخل في باب التسلط والنهب والسرقة"⁴.

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 416/3.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 265/9.

³ المتردي، تأويلات أهل السنة، 37/3.

⁴ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 208/1.

وهذا يؤدي إلى "المحافظة على المصالح الاجتماعية التي لا تتم إلا بالضرورات الخمس لأنها أمهات لكل الأحكام، وهي واجبة على كل مسلم من أجل الحفاظ على نفسه وأهله ومجتمعه"، فهي أساس العدل والمصلحة العامة والتكافل الاجتماعي، فاتجه الإسلام إلى تربية الفرد وتهذيبه ليكون مصدر خير لجماعته التي تضم الأسرة وذي القربى والمسلمون عامة¹.

ومقاصد الشريعة التي ذكرناها في علاقة الأباء مع الأبناء في القرآن الكريم نجد أنها مترابطة فيما بينهما، فكل مقصد مرتبط مع المقصد الآخر، ولا ينفصل عنه، فالحفاظ على الدين والحفاظ على العقل يؤدي إلى الحفاظ على النفس والنسل والمال من الضياع.

¹ مرمي، التربية الإسلامية: أصولها وتطورها، صفحة 69.

الفصل الثالث

نماذج من العلاقة بين الأنبياء والأبناء في القصص القرآني

ورد في القرآن الكريم قصص عدّة تتحدث عن طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء من حيث كيفية المعاملة فيما بينهم القائمة على البرّ والإحسان وإعطاء الحقوق كلّ منهما للأخر، وذلك من خلال مبحثين.

المبحث الأول: علاقة الأنبياء بأبائهم وأمهاتهم

هذا المبحث يُظهر العبر والمواظ من القصص القرآني من خلال علاقة الأنبياء مع آبائهم وأمهاتهم، وأن على الأنبياء مسؤولية عظيمة تجاه آبائهم في دعوتهم إلى الالتزام بدين الله، وأن العلاقة بينهم قائمة حسب ما يأمر به الله تعالى وينهى عنه.

المطلب الأول: قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه

هذه القصة تُظهر العلاقة بين الأب وابنه، عندما يكون الأب كافراً بعيداً عن طريق الحق، والابن مؤمناً يسير على طريق الحقّ.

التناصح بين الآباء والأبناء:

قال تعالى: ﴿يَا بَتِّ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم: 43].

فالابن يقوم بتقديم النصيحة للأب في هذه القصة، ويقول له أيها الأب، إن تتبعني بدون تقليد، (لأن الله قد آتاني من العلم ما لم يؤتكَ فاقبل مني النصيحة).

وقال تعالى: ﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم: 45].

والنصيحة تُعبّر عن الشعور بالخوف من الابن على أبيه من أن يصيبه الضرر والأذى، فيخاف على أبيه إن مات على عبادة الشيطان أن يمسه عذاب من الله.

وقال تعالى: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [سورة مريم: 47].

فالأب لم يتقبل النصيحة، فيقول له الابن: سلام عليك يا أبت، ولكن سأسأل الله أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن العقوبة عليها، فالله لطيف يُحِبُّ دعائي¹.

فالتناصح من الأبناء للأباء هو توجيه وإرشاد لطريق الحق لهؤلاء الآباء، فإذا انحرف الآباء عن طريق الحق والهدى فلا بد للأبناء باللجوء للنصيحة للأباء وتوجيههم إلى الحق، وعدم التهاون في ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَّ أَنْتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: 74].

فالأب لا يعترف بحق الله تعالى، أما الابن فيواجه الأب بجرأته ويقول له إنك إنسان في ضلال ويعيبه على اعوجاجه عن الحق، وهذا ليس فيه تطاول على الأب لأنه ضيع حق الله تعالى "وحق الوالد يسقط عندما يضيع حق الله"².

الاستغفار للأب الكافر:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [سورة التوبة: 114].

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جزء 203/18، 204، 207.

² الماوردي، النكت والعيون، 133/26.

"واستغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه كان بما وعده إياه، بما كان يرجوه أنه سيؤمن، فلما يأس الابن من إيمان الأب وذلك بموته على شركه فلم يستغفر له بعد موته وتبرأ من أفعاله ومن استغفاره له"¹.

والقصة فيها عبرة بعدم تقليد الآباء على كفرهم، واتباع الدين الحق على الصراط السوي، وتقديم النصح للآباء والدعاء لهم والاستغفار إذا ماتوا على الإيمان.

المطلب الثاني: قصة يوسف عليه السلام مع أبيه

قام يعقوب عليه السلام بتوجيه النصح لابنه يوسف عليه السلام بعد أن رأى في المنام أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [سورة يوسف:4]. فتأولها يعقوب عليه السلام أن الكواكب إخوته، والشمس والقمر أبويه، فالقمر تأويله الأب، والشمس تأويلها الأم، فكانت للشمس مقدمة على القمر، فانتزع بعض الناس من تقديمها وجوب برّ الأم وزيادته على برّ الأب). أما النصيحة والتوجيه من الأب جاءت في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْضُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة يوسف:5].

"وهذا التوجيه من الأب جاء نتيجة الإحساس من بنيّه حسداً ليوسف عليه السلام وبغضه، فنهاه عن أن يقصص الرؤيا عليهم، خوفاً أن يوغر بذلك صدورهم"².

ويقتضي هذا التوجيه الحرص من الأب على ابنه، والخوف عليه من أن يلحقه الضرر من إخوته، وهذه صفة ملازمة للآباء دائماً، بتقديم النصح والإرشاد والتوجيه لأبنائهم لإبعادهم عن الهلاك وعواقب الأمور.

¹ المصدر السابق، 410/2.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في التفسير، 219/3، 220.

المطلب الثالث: قصة موسى مع أمه

قصة موسى عليه السلام مع أمه تدلّ على مقدار العذاب الذي يواجهه الأم عند فقدان ابنها وبُعده عنها، وأن الرضاعة هي التي جمعت الأم بابنها "تحت ظل العدو الذي كان يطلب قتله، فأصبح محبباً له كحبّ الآباء للأبناء". قال تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ [سورة طه: 39]¹.

فالرضاعة لهذا الابن الصغير هي حقّ له، وحق على الأم، فلما وضعت موسى عليه السلام في حجرها أخذ نديها وردّه الله إلى أمّه، "فبلغ لطف الله لها وله، فأصبح في كفالة أمّه". قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ [سورة طه: 39] أي "هل أدلكم على من يضمنه ويحفظه ويرضعه ويربيّه"².

فقصة موسى عليه السلام مع أمه توضح العلاقة الطبيعية بين الأم وابنها من خلال ما ورد عن الكفالة لابنها في هذه الآية الكريمة، وأن فراق الابن وفقدانه يُسبّب التعاسة والحزن للآباء. قال تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [سورة طه: 40]. أي "أنها سرّت بذلك وذهب الحزن عنها"³.

وتكشف قصة موسى عليه السلام مع أمه المشاعر والأحاسيس والعواطف التي تغذي بها الأم طفلها من "سهر عليه ومناغاة له واشتغال به في نومه ويقظته، وفي بكائه وصمته، وحركته وسكونه، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [سورة القصص: 10]. فأصبحت جوارحها معطّلة لا تعمل وهذا بدوره جعل

فؤادها وهو مركز العواطف والمشاعر كياناً فارغاً لا يستقبل إلا العواطف السلبية من قلق وأسى ولوعة. قال تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لِّتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة القصص: 10]، فالله تعالى أمسك على قلبها، ومنع ما فيه من نوازغ حتى لا تكشف هذا الوليد وفضح

أمره"⁴.

¹ النحلوي، أصول التربية الإسلامية، 791/8.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 305/18.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز، 279/4.

⁴ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 316، 313/10.

فموضع العبرة من هذه القصة أنها تتضمن مقدار الحُبّ وتعلّق الأم بأبنائها والكشف عن المشاعر والعيّات للأمهات نحو الأبناء، واطمأنت أم موسى على وليدها بعد أن أصابها الهلع يوم أن ألقته في البحر حيث "فرغ قلبها من كل شيء إلا من تذكر وليدها هذا"، وقدّر الله للصبي أن يعود لأمه ترضعه في بيتها وتقوم على تربيته¹.

وتمرّ الأيام والسنين، وتتوالى الأحداث حتى خروج بني إسرائيل من مصر برفقة موسى وأخوه هارون عليهما السلام، فلقد استضعف القوم من بني إسرائيل هارون وقاربوا على قتله بعد أن عبدوا العجل، فوجّه موسى عليه السلام اللوم لأخيه في تركه أتباعه، بعدما حدث من ضلال لهؤلاء القوم، حينئذ قام هارون بتقديم عذره لأخيه فقال: (يا ابن أم) ولم يقل (يا ابن أبي) "وهما لأب واحد وأم واحدة"، وذلك استعطافاً له على نفسه برحم الأم، "فقبل موسى عليه السلام عذر أخيه حين أخبره بعذره ودعا لأخيه ولنفسه بالرحمة". قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [سورة الأعراف:150]. وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [سورة الأعراف:151]².

فكان ذكر الأم أعطف لقلب موسى عليه السلام، فنكر الأم جعل موسى يدعو لأخيه ليرضي أخاه، ويبعد أي قول أو فعل فيهما غلظة وجفوة لأخيه³.

والملاحظ من هذه القصة أن مقدار عاطفة الأمومة والحنان على الابن هو مقدار عظيم، وأن صلة الأبناء والآباء هي صلة صادقة وعظيمة، عنوانها المحبة والمودة المنبعثة من البرّ والإحسان من كلا الجانبين، والتي تنعكس فيما بعد على العلاقة الطيبة بين الأخوة كما هي العلاقة "بين موسى وأخته وبين موسى وأخاه هارون عليهما السلام".

¹ غلوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، 1423 هـ، ط1، جزء1، صفحة 271.

² الطبري، جامع البيان ف تأويل القرآن، 128/13، 131.

³ الزحيلي، التفسير المنير، 100/9، 102.

المطلب الرابع: قصة داود وسليمان عليهما السلام

قصة داود وابنه عليهما السلام هي قصة في مسألة القضاء بين المتخاصمين في الغنم الذي خرب حرت القوم، فالله تعالى ألهم الابن وجهاً آخر في القضاء، فدلّ على أن فهم سليمان الابن في القضية أعمق، والله تعالى أراد أن يُظهر علم سليمان عند أبيه، ليزداد سروره به، وليتعرّى به على من فقدته من أبنائه قبل ميلاد سليمان¹. قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [سورة الإنسان: 79]، فالابن البار لوالديه هو مصدر للسعادة والسرور لهما.

وقصة داود مع ابنه عليهما السلام تبرز العلاقة بين الأبّ وابنه عند الاختلاف، فيقبل الأب رأي ابنه إذا كان صائباً دون تردّد، فالوالد سرّه زيادة ولده عليه بالعلم والحكم، فكانت لسليمان عليه السلام فضيلة له على داود، فأصاب سليمان وأخطأ داود عليهما السلام، "فالغلط والخطأ لا يمنع وجوده من الأنبياء لكن لا يُقرون عليه"².

فالرأي الصواب من الأبناء عند الاختلاف مع الآباء يجب أن يقابل بالثناء وسعة الصدر من الآباء. فالله تعالى أثنى على سليمان بصوابه وعذر داود باجتهاده³. لأنه فصلّ بما أدى إليه اجتهاده، فإذا أخطأ فله أجر، وإن اصاب فله أجران، وهذا لا يُعيب داود عليه السلام ولا ينقص من قدره، فهذا حكم المجتهد.

وكذلك الآباء عليهم الإذعان للحق والرأي الصحيح والابتعاد عن الهوى في التعامل مع الأبناء، فلا يمنع أن يكون الابن أكثر علماً من الأب، فالعلم درجات لا حدود لها. قال تعالى: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: 76].

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 118/17.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 308/11.

³ المصدر السابق، 309/11.

والغاية التي جاءت بها القصة تتعدى أكثر من هو صاحب الرأي الصواب والصحيح فقط، بل تضع "قضية الفصل في الخصومات بين الناس، فهي أمر خطير يحتاج إلى علم واسع وبصيرة نافذة، ونفس تجردت من كل هوى"، وعكس ذلك من شأنه إن شاع أفسد حياة الناس، وأغرى بعضهم في بعض. ومن هنا فعلى الآباء أن يكونوا على حذر دائم ولا يعجلوا بالرأي، بل يتقبلوا وجوه النظر كلها، فما كان أقرب إلى الحق والعدل أخذوا به، فإنهم قد تقع لهم أحيانا مشكلات بما يغيب عليهم وجه الحق، ويغيب عنهم وجه الصواب في التعامل مع الأبناء. قال تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: 26]¹.

وهذه القصة أكدت على مبدأ التشاور بين الآباء والأبناء في التعامل بينهم عند اختلاف الآراء، وأن هذا التعامل يبعث على التقارب بينهم والسرور والمحبة والألفة، ويكون هذا ناتجاً عن العلم الحاصل عندهما، وفي هذا تنبيه على السعي لحصول العلم، لأن العلم أفضل النعم وأعظمها، ويكون ذلك من كلا الجانبين الآباء والأبناء.

المطلب الخامس: قصة مريم مع ابنها عليهما السلام

وردت قصة عيسى مع أمه مريم عليهما السلام في عدة سور في القرآن الكريم، وقد ورد في هذه السور عدة آيات تذكر أن عيسى عليه السلام هو عيسى ابن مريم، وذلك للإعلام بأنه ولد من غير أب، إلا أن العبر الواردة في هذه القصة تنطبق على الوالدين معاً الأم والأب، كما سيتم بيانه في هذه القصة.

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِحَبَابِهِ شَقِيًّا﴾ [سورة مريم: 32].

وهذه الآية تخبر عن وصية الله لعيسى عليه السلام، فالله عز وجل أوصاه بالصلاة والزكاة والبر بوالدته لأنه " لا تجد عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقيماً، أي مستكبراً على الله فيما أمره الله به"².

¹ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 9/923-924.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 18/192.

فالجبار هو الظالم للعباد والجاهل، أما الشقي فهو المتكبر عن عبادة الله والراغب في الدنيا¹.

فعيسى عليه السلام لم يكن متكبراً بل كان متواضعاً مع أمه، وهذا خلق كريم يجب أن يلتزم به الأبناء في تعاملهم مع آبائهم، فلا يتكبر الأبناء على الآباء مهما بلغت منزلة الابن، فالله تعالى لم يجعل عيسى عليه السلام جباراً "أي لم يجعله متكبراً بل خاضعاً لأنه متواضع لإمه، ولو كان جباراً لكان عاصياً شقياً"².

وقال تعالى: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبِرَّ الْوَالِدِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة مريم: 31-32].

"فأوصى الله عز وجل عيسى عليه السلام بالصلاة والزكاة والبرّ بوالدته وطاعتها والإحسان إليها بعد طاعة الله سبحانه، والله عز وجل يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين وذلك لأهمية البرّ والإحسان للوالدين"³. فبدون تلك الصفات يكون الأبناء عاقين لأبائهم، عاصين متعاضمين عن عبادة الله عز وجل.

¹ الماوردي، النكت والعيون، 371/3.

² الرازي، مفاتيح الغيب، 536/21.

³ الزحيلي، التفسير المنير، 83/16.

المبحث الثاني: علاقة الأنبياء مع أبنائهم

سيتم استخلاص العبر والمواعظ لهذه القصص في القرآن الكريم التي تؤثر على علاقة الآباء مع أبنائهم نحو الأفضل، وجعل هذه العلاقة قوية مبنية على كل معاني الخير بينهما.

المطلب الأول: قصة آدم عليه السلام مع ذريته

قصة آدم عليه السلام مع ذريته في القرآن الكريم تُبين أن العلاقة مع هذه الذرية قائمة على التوحيد والعبادة لله جل وعلا، "فقد استخرج الله تعالى أولاد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به". قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ سَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [سورة الأعراف:172].

فمسح الله ظهر آدم عليه السلام فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة، ثم أخذ عليهم الميثاق بالربوبية. وخلق الله زوجة لآدم عليه السلام، حتى يكون له نسل، وأن ذلك يقتضي أن يكون له ذرية وأبناء من تركيب آدم عليه السلام وزوجته¹.

أما قصة ابني آدم عليه السلام فتبين اتباع ما يحكم به الآباء على الأبناء لإبعاد الخلاف بين الأبناء، فكان حكم الأب آدم عليه السلام أن يتزوج قابيل أخته من البطن الآخر، فأبى الابن أن يقبل ذلك الحكم من أبيه، فلجأ الأب للحل الآخر بأن يقرب كلاهما قربانا لله عز وجل، فأيكما يقبل الله قربانه فهو أحق بها، إلا أنه رفض مرة أخرى الحكم بعد أن تقبل الله قربان أخيه².

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 222/13، 225.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 206/10.

فيقول الله تعالى مبيناً "وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خير ابني آدم عليه السلام" ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:27] فقتله بغيا عليه بغير حق وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة في تقبل القربان، بعد أن رفض قسمة الآب آدم عليه السلام بأن يتزوج كل منهما الأخت التي ولدت مع أخيها في البطن الآخر.

فمن أراد وضع آثامه والدخول الى الجنة فعليه اتباع ما يقول ويحكم به آباؤهم، وإلا فإنه يرجع بصفقة خاسرة في الدارين¹.

"فقد خسر دنياه فأسخط والديه، وبقي بلا أخ فخر أخاه، ففقد الناصر والرفيق، فلا تهناً للقاتل حياة، أما آخرته فأسخط ربّه وصار في النار، فأورد نفسه موارد الهلاك. قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة المائدة:30]"².

فكانت المعصية مزدوجة، معصية للأب ومعصية للرب عز وجل، ومعصية الأب جاءت بسبب عدم قبول قسمة أبيه بينهما، ثم عدم قبوله بحكم الله في القربان، فظهر منه العقوق لأبيه وعدم الرضا عليه، فهو عاصي لله عز وجل، وعاصي لأبيه.

وهذا العصيان يدل على عدم التقوى لله، مما يجعل نفس آدم الآب عليه السلام تعتربها الحسرة، لأن هذا الابن سيتعرض للعقاب في الدنيا والآخرة، أما الحسرة الأعظم فكان لفقدان الابن الثاني الذي قُتل على يد أخيه. قال تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة:29].

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 81/3 و82.

² الشاربي، في ظلال القرآن، 877/2.

المطلب الثاني: قصة نوح عليه السلام وابنه

قصة نوح عليه السلام مع ابنه الكافر الذي رفض الإسلام فغرق، ونظراً لحُبّ نوح عليه السلام له فقد "طلب من الله طلباً محرّماً وهو رحمة ابنه، فنهاه الله عن هذا الطلب"، فالكافر ليس من أهله لأنه عملٌ غير صالح. فالإبن كان متمادياً في الكفر، مصرّاً عليه، مُكذِّباً لأبيه فيما أخبر عنه. قال تعالى: ﴿وَتَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنِيْ اَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِيْنَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِيْ اِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِيْنَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة هود: 42-43]، فشفقة الأبوة لعلها حملته على النداء، مع أنه كان يعلم عليه السلام أن ابنه كافر، وظن أنه لما شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه سيقبل بالإيمان، لكنه رفض ذلك ولم يقدم الطاعة للأب فحال بينهما الموج، أي "بسبب هذه الحيلولة وهي عدم العصمة من الله، كان الابن من المغرقين"¹.

وكانت الشفقة المفرطة التي تكون من الآباء بحق الأبناء هي التي حملت نوح عليه السلام على ما صدر منه من أعمال وأفعال. أما الأمر الآخر فهي معصية الأبناء للآباء وعدم طاعتهم، فكان موقف الابن أنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء، لكن الأب عليه السلام قرّر لابن أنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، فلا ينفعه شيء إلا الإيمان والعمل الصالح².

وهكذا يفرق الضلال بين الابن وأبيه، لأن الابن أبى وهو بين يدي البلاء المحيط به أن يستجيب لأبيه وأن يستمع له فخرج عن أمره، وهو يدعو إلى السلامة والنجاة، "فينجو الأب عليه السلام بإيمانه، ويهلك الابن بكفره"³.

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، 352/17.

² الرازي، مفاتيح الغيب، 359/18.

³ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1141/6.

"فالعبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب، فكانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه، ولكن لما انتقت قرابة الدين انتهت العلاقة بينهما". يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [سورة هود: 46]¹.

فنادى نوح ربه فقال: رب إنك وعدتني أن تتجيني من الغرق والهلاك أنا وأهلي وقد هلك ابني، وإبني من أهلي، "فاحكم لي بأن تقي بما وعدتني من أن تتجي لي أهلي وترجع إلي ابني". قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة هود: 45]².

ووعد الله تعالى هو الوعد الحق الذي لا يخلف، فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول لكفره، ومخالفته أباه نبي الله نوح عليه السلام بالعمل والنية³.

وقد نهى الله عز وجل نوحاً أن يسأله بما لا يعلم لأن هذا السؤال غير مقبول فهو عمل غير صالح لا أرضاه لك، وهذا دعاء من نوح عليه السلام "وسمي سؤالاً لتضمنه معنى السؤال لاستنجاهه بالله تعالى في شأن ولده"، فيحذر الله عز وجل نوح عليه السلام وينهاه أن يكون جاهلاً فيسأل أسئلة جاهلة، فحُب الولد شغله عن تذكر أن ابنه من الهالكين. قال تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود: 46]⁴. ونوح الأب عليه السلام لم يتخلى عن ابنه بسهولة، ولم يفترط به، بل كان متمسكاً به تمسكاً به الأب الذي يتعرض ابنه للخطر، فأراد الأب أن يُبعد الابن عن المخاطر وتوجيهه إلى طريق السلامة والصواب.

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، 357/18.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 425/12.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 325/4، 326.

⁴ القنوجي، محمد صديق خان الحسيني، فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412 هـ، جزء 6، صفحة 193.

المطلب الثالث: قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه

حدثت القصة عندما رحل إبراهيم عليه السلام وترك ابنه وزوجته في مكة التي لم يكن بها زرع يومئذ، ولكن فيها بيت طهره الله من سوء وجعله قبلة وجعله حرماً، اختاره نبي الله إبراهيم عليه السلام لولده. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم: 37] ويهدف الأب إبراهيم عليه السلام من ترك ابنه وزوجته والرحيل من مكة بعد أن أسكنهم فيها هو رضى الله عنه، ومحبتة في أن يكون ولده وذريته من أهل الطاعة لله، وإخلاصهم العبادة له، ويظهر هذا القصد من خلال دعائه لله عز وجل في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم: 35]¹.

والطاعة من الابن تظهر "عندما يعود الأب مرة أخرى إلى مكة التي كرمها الله جل ثناؤه"، فلا يلوم الابن الأب لأنه تركه رضيعاً هو وأمه في الصحراء وذهب عنهما بلا أنيس ولا طعام، ومع ذلك لم يتمرد الابن على الأب وبقي له مطيعاً.

فعندما رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وقد انصاع الولد لطب الأب، فأنقذه الله وفداه بذبح عظيم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الصافات: 102].

"فالأبناء هم قرة عين لأبائهم عندما يطيعون الله"، فالحكمة من مشاورة الابن حتى يُطلع ابنه على هذه الواقعة وهي ذبحه بأمر من الله عز وجل، ليظهر الابن للأب صبره في طاعة الله فتكون فيه قرة عين لإبراهيم عليه السلام، والسبب في هذا التكليف "هو كمال طاعة إبراهيم عليه السلام لتكاليف الله تعالى"،

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 27/17.

وهو تكليف "شاق شديد ظهر منه كمال الطاعة، وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد"، فكان إبراهيم عليه السلام وابنه محسنين في هذه الطاعة. قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الصافات:105]¹.

"فلو قَدَّر عصيانه لأبيه لكان حاله في ذلك حال ابن نوح الذي أبى أن يركب السفينة، لما دعاه أبوه فاعتبر كافراً"².

وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة، فهو وقت يكون الابن قريب من أبيه وبعيد عن عقوبه، "وهذا الزمان أحب ما يكون الوالد إلى ولده، لأنه وقت يستغني فيه الابن عن مشقة الحضانة والتربية من الوالدين". فقصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه فيها بيان أن العلاقة بين الأب وابنه أقوى ما تكون في هذه السن وهي السن التي يبلغ فيها السعي: أي "مشيه معه وتصرفه"³.

والعلاقة بين الآباء والأبناء في هذه القصة تكون مبنية على الحوار بين الآباء والأولاد وليس التسلُّط والتصلُّب بل لغة الإقناع، وهذا فيه تقدير لرأي الوالدين والأبناء بما يبعث الثقة بالنفس وتقدير الذات، فقصة إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام فيها تنبيه إلى صورة حيّة وواقعية في كيفية تعامل الآباء والأبناء⁴.

وفيها أيضا أروع الأمثلة في البرّ والطاعة للآباء في تاريخ البشرية، فالولد الصالح لم يتباطأ أو يتكاسل أو يتردّد ويتثاقل في الطاعة لأبيه بما أمره الله به. قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ أَمْعَلُوا بِمَا أَوْمَرْتُ﴾ [سورة الصافات:102]⁵.

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، 26 / 350.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، 151/23.

³ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، التبصرة لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406 هـ، ط1، جزء 1، صفحة 141.

⁴ الشرييني، زكريا الشرييني، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته، دار الفكر العربي، جزء 1، صفحة 223.

⁵ الحمد، محمد بن إبراهيم، عقوق الوالدين، موقع وزارة الأوقاف السعودية، المكتبة الشاملة، جزء 1، صفحة 55.

ووساوس الشيطان بالكتمان وعدم التفاخر والخِيلاء أمام إخوتك، فالحسد والعداوة تقع بين الأبناء، ويجب على الآباء علاج ذلك بين الأبناء بإبعاد الشيطان عنهم وتقديم النصح لهم وعدم التفريق بينهم بالمعاملة¹.

أما قصة يوسف عليه السلام وإخوته فقد ظهر فيها العلاقة بين الأبناء والآباء واضحة من خلال اتباعه لدين الآباء من قبل، وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فالإنسان عليه اتباع دين الحق الذي يدين به العقلاء ولا يكون مقلداً فقط، فلقد نظر يوسف عليه السلام الى الدين الذي يدين به أباه، وإلى الأديان التي يدين بها الملحدون، فاختر ما عليه أباه من عدم الشرك بالله، لأنهم عرفوا طريق الحق. قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة يوسف: 38]².

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَلْبِغِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: 132]، فهذه "إشارات في القرآن الكريم إلى تربية بعض الرسل لأبنائهم"³. وتناول القرآن الكريم لهذه القصة ليبين بعض المواقف بين يعقوب عليه السلام مع أبنائه حتى يتم بيان بعض جوانب العلاقة بين الآباء والأبناء ومنها عدم التفرقة بين الأبناء وتقديم النصح لهم، ودعوتهم لاتباعهم للدين الحق غير مشركين بالله، وهذا هو أساس التربية الصالحة التي تقوم عليها تلك العلاقة بين الآباء والأبناء.

المطلب الخامس: عائلة عمران وابنته مريم عليهما السلام

عائلة عمران هم أهل بيت من الله عز وجل بمكان، وقد أمسك عنها الولد حتى كبرت امرأة عمران في السن فتحركت نفسها للولد، فدعت الله تعالى أن يهب لها ولداً، فلما عرفت أن في بطنها جنيناً بعد أن هلك عمران نذرت ما في بطنها لله تعالى، فأنت بنتاً سمّتها مريم، فتقبلها الله منها.

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 558/15.

² الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1273/6.

³ النحلوي، أصول التربية الإسلامية، صفحة 117.

فالكثير من الناس يُحرم من إنجاب الأبناء، فتتنوع مواقفهم من هذه الحالة، فمنهم من يرضى بحكم الله له، ومنهم من يسخط ولا يرضى بذلك ويبقى مُعذّباً ومتألماً على حاله¹.

وقصة عائلة عمران وابنتهم مريم عليها السلام هي نموذج وقوة لمن يرضى بحكم الله عز وجل، فيلجأ للدعاء والطلب من الله أن يهبه الولد والذرية، فطلبت امرأة عمران أن تُرزق ذكراً، فلما وضعتها أنثى وهي مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [سورة آل عمران:36]. "فكانت ترجو وتقدّر أن تلد ذكراً فتحزنت إلى ربّها بقولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ على وجه التحسّر والتحرّز".

أما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ أي "أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وعظم شأنه، فلعل هذه الأنثى خير من الذكر، والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظام الأمور". وهذا ردّ مقنع من الله تعالى لكل من يعترض على إنجابهِ للإناث دون الصبيان، فلعلّ لله تعالى فيه سرّاً وحكمة. قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾ [سورة الشورى:49]².

والعبرة المستخلصة من هذه القصة أيضاً أن الأبناء إذا أصبحوا قادرين على التكبّب والنفقة يجب عليهم رعاية الآباء والعناية بهم، وذلك لأنه في زمن حدوث هذه القصة "كان الأمر في دين بني إسرائيل أن الولد إذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الأبوين، فكانوا يتركون ذلك النوع من الانتفاع وينذرونه للبيت المقدس ليكون من سدنته". قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [سورة آل عمران:35].

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 330/6.

² الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتب العربي، بيروت، 1407 هـ، ط3، جزء 1، صفحة 356.

المُحَرَّر: "أي خادماً للمسجد، وطاعة لله تعالى، فكان تحريرهم جعلهم لأولادهم على هذه الصفة وعدم الانتفاع بهم، طلبا لرضا الله تعالى والإخلاص في عبادته"¹.

وقصة عائلة عمران وابنته مريم عليهما السلام فيها تحفيز للآباء على تربية أبنائهم التربية الصالحة. قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [سورة آل عمران:37] والإنبات الحسن، مجازاً عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها².

فقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ "وذلك لسعادتها، لتقتبس من زكريا عليه السلام علماً جماً وعملاً صالحاً"³.

"فأنشأها إنشاءً صالحاً في الخلق ونزاهة في العقل والقلب، فشبّه إنشائها وشبابها بإنبات النبات الغض"⁴. ونلاحظ أن أحداث هذه القصة تعالج مسألة مهمة للآباء وهي الحرمان من الذرية وعدم الإنجاب، وإنجاب الإناث فقط دون الذكور، فعلى الآباء القبول بقدر الله عز وجل، ثم كثرة الدعاء والتوسّل إلى الله جل ثناؤه بإعطائهم الذرية الصالحة، وعدم التفريق بين الذكور والإناث عند قيامهم على تربية أبنائهم، وذلك بإظهار العناية والرعاية بما يُحقّق تربيتهم وإنشأهم النشأة الصالحة.

المطلب السادس: قصة لقمان عليه السلام مع ابنه

والقصة تتمحور حول التوجيه للخير من الآباء للأبناء، فلقد قام لقمان الحكيم عليه السلام بتوجيه ابنه بتقديم الموعدة له، والتي كانت من عدة مواعظ ذُكرت في هذه القصة. وأحد المواعظ المهمة هي الوصية لابنه ببرّ والديه، والشكر لهما، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهْنٍ

¹ الزمخشري، مفاتيح الغيب، 203/8.

² البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 14/2.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 35/2.

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 235/3.

وَفَصَلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ [سورة لقمان: 14]. فقد أمر الله الإنسان ببر

والديه، وعهدنا إليه أن يشكر لله على نعمه عليه، وأن يشكر لوالديه تربيتهما إياه، وبرك بهما على ما لقيتا منك من العناء والمشقة في طفولتك وصباك وتحنهما عليك¹.

وتشترك الأم والوالد في رتبة الوصية بهما، إلا أن الله تعالى خصص للأم ثلاث مراتب وللاب واحدة وهي درجة ذكر الحمل، ودرجة ذكر الرضاع، بالإضافة للوصية بها مع الوالد، أما الشكر للوالدين فيكون لهما على حدّ سواء، وذلك "بالدعاء لوالديه في دبر الصلوات الخمسة، ومن دعا لهما فقد شكرهما"². فوصى الله بالوالدين، وأمر بالشكر لهما، فذكر السبب في حق الأم، أما الأب فله الحق بالبر والإحسان، لما وجد في الأم، فإن الابن من صلب الأب الذي حملت به الأم، "ثم بعد ذلك رباه سنين بكسبه وأنفق عليه".

وقرن الله تعالى شكره بشكر الوالدين في هذه القصة، لأن لله على العبد نعمتين هما: نعمة الإيجاد ابتداءً من الخلق، ونعمة الإبقاء بالرزق له في هذه الحياة، أما الوالدان فجعلهما سبب لوجوده، فالحمل يظهر به الوجود وبالرضاع يحصل البقاء ثم التربية من كلا الوالدين، فجعل الله تعالى الشكر بينه وبينهما³.

والرضاعة تظهر في هذه القصة أنها أحد المراتب التي خصصها الله للأم، وتستمر بعد وضعه إلى عامين، وقد ذكر الله تعالى هذه المرتبة للأم بسبب تعبها ومشقتها وسهرها ليلاً ونهاراً، حتى يتذكر الولد إحسانها إليه، المتقدم على إحسانه هو إليها، الذي سأجزيك عليه أوفر الجزاء، وذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ

الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾، أي إلى الجنة أو إلى النار⁴.

¹ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 138/20.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 348/4، 349.

³ الرازي، مفاتيح الغيب، 120/25.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 336/6.

"والأب يلاقي المشاق والتعب في القيام على الأم لتتمكن من الاهتمام بالطفل في مدة حضانته، وهو يتولى تربية الابن والذب عنه حتى يبلغ أشده، فكما كان الحمل والإرضاع يقتضي البر بالأم، فالحالة مع الأب في فترة الإرضاع والتربية تقتضي أيضا البر بالآباء على حد سواء مع الأمهات"¹.

وقصة لقمان عليه السلام مع ابنه تظهر أن الطاعة للوالدين تكون مطلقة ما لم يكف فيها معصية لله عز وجل، فيقدم لابنه موعظة بعدم طاعة الأبوين إذا كان في هذه الطاعة شرك بالله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان:15].

"فإن أراد الوالدان إيها الإنسان أن تشرك بي في عبادتك مما لا تعلم من الشرك فلا تطعهما فيما أَرَادَاكَ عَلَيْهِ، وصاحبها في الدنيا بالطاعة لهما فيما ليس فيه إثم"². "والمصاحبة: المعاشرة، أما المعروف فهو الشيء الحسن المألوف" أي عاشر والديك معاشرة حسنة إن طلبا منك الشرك أو المعصية.

وهذه الموعظة توجيه للأبناء أيضا بعدم طاعة الآباء في حالة المعصية أو ارتكاب الآثام مثل السماح للبنات بالخروج متبرجات بدون الالتزام بالزي الشرعي أو الاختلاط وعدم أداء العبادات المفروضة عليهم، ويشمل ذلك أن يدعو الوالدان إلى ما ينكره الله ولا يرضى به فلا يُطاعان، مع ذلك فإن على الأبناء معاشرتهما بالمعروف والإحسان إليهما وصلتهما³.

فكانت هذه القصة بياناً لعلاقة النشء، وهم الأبناء مع ربهم في قضية التوحيد وعدم الشرك بالله، ثم علاقتهم مع الوالدين والأسرة، وقد وضحت علاقة الآباء بالأبناء منذ المراحل الأولى في حياتهم بتهديب أرواحهم وتربيتهم بشكل متوازن لتكوين أسرة حيّة وقوية⁴.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 158/21.

² الرازي، مفاتيح الغيب، 139/20.

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 161/21.

⁴ صبح، علي علي، أدب الطفولة، صفحة 16.

ووصايا لقمان لابنه هي وصايا جامعة تعتبر نبراسا ودليلا لكل أب وكل مربٍ، فهي تجمع بين العقيدة والتوحيد، والتذكير بيوم الحساب، كما وأنها تجمع الأعمال الصالحة ومنها برّ الوالدين والصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، وعلى الآباء والمُربّين تعليم هذ الوصايا للأبناء، فهي مواظ وحكم تعمل على تهذيب النفس والابتعاد عن الباطل، والإيمان الحق بالله عز وجل.

وقصص القرآن الكريم بشكل عام حافلة بالمواعظ والعبر والحكم التي يمكن أن تساعد المُربّين ومنهم الآباء على تربية النشء تربية إسلامية صحيحة، فلقد قدّمت لهم المادة والمواقف والأحداث لتحقيق تلك التربية، وكانت لها فعل السحر في نفوس الأبناء صغاراً وكباراً.

وهذا الأسلوب القصصي يستطيع من خلاله المرَبّون والآباء أن ينشئوا الأبناء على المُثل العليا والأخلاق الإسلامية النبيلة. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [سورة يوسف:3]. وقوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة القصص:176].

وهذا الأسلوب كان أسلوباً من خلال الخطاب العقلي المشحون بالمشاعر فهو أسلوب مشوّق ومحبيب للنفس¹.

¹ مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها، صفحة 215.

الخاتمة

النتائج:

- وفي ختام الدراسة توصل الباحث إلى عدد من النتائج حول العلاقة بين الآباء والأبناء وهي كالآتي:
1. أن تأثير العلاقة بين الآباء والأبناء على الأسرة وتماسكها يجعل المجتمع الإسلامي متماسكاً وقوياً.
 2. الكشف عن ارتباط علاقة الآباء والأبناء مع مقاصد الشريعة، ومعرفة أهمية تلك العلاقة في الشريعة لارتباطها بتلك المقاصد.
 3. أن العبر من القصص التي وردت في القرآن الكريم كان لها صلة وثيقة مع العلاقة بين الآباء والأبناء.
 4. من خلال الدراسة يتضح أن أثر تلك العلاقة يكون إنسانياً يتجاوب مع الفطرة، ثم يتجاوب مع الشريعة القائمة على الإيمان والعقيدة السليمة النابعة من هذه الفطرة.
 5. دراسة العلاقة بين الآباء والأبناء، معزراً بنصوص القرآن الكريم، يعمل على تغيير العلاقات داخل الأسرة نحو الأفضل، وتفتح المجال للاهتمام بتلك العلاقة بين الطرفين وتقوم بتعزيزها.
 6. دراسة خصائص وأسس العلاقة بين الآباء والأبناء تعمل على تعميق مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء، وأنها مبنية على أسس قوية.

التوصيات:

1. يوصي الباحث بدراسات علمية متخصصة في مقاصد العلاقة بين الآباء والأبناء بشكل موسع ومفصل.
 2. يوصي الباحث بضرورة تركيز وسائل الإعلام على هذه العلاقة، والاستفادة من البحوث في هذه العلاقة، وعمل برامج حوارية تناقش هذه العلاقة للعمل على تقويتها داخل المجتمع.
- سبحانك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، (د.ط)، 1405هـ.

الأزدي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، دار إحياء التراث، بيروت،

(د.ط)، 1423هـ.

الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد

الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1425هـ.

البصري، الحسن، تفسير الحسن البصري، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت،

2012م.

بصمة جي، معجم مصطلحات الفقه الإسلامي، صفحات للدراسات والنشر، ط1، (د.ت).

البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرة، دار

طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد مرعشلي، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

التويجري، محمد بن إبراهيم، مختصر الفقه الإسلامي، دار أصدقاء المجتمع، السعودية، 2010م.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، التحقيق بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

ابن جزى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، ط1، 1416هـ.

الجزيري، عبد الرحمن بن محمد، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم

للملايين، بيروت، 1407هـ.

الجوري، عبد الرحمن بن علي، نواسخ القرآن، تحقيق: أبو عبد الله الأزهوي، شركة أبناء شريف الأنصاري،

بيروت، (د.ط)، 1422هـ.

الحازمي، خالد بن حامد، التربية الإسلامية في منظور التربية الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة، العدد 116، 1422هـ.

الحكيم الترمذي، محمد بن علي، رياض النفس، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،

(د.ط) 2005م.

الحمد، محمد بن إبراهيم، عقوق الوالدين: أسبابه ومظاهره وسبل العلاج، وزارة الأوقاف السعودية.

بن حمد، صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم عليه السلام، دار الوسيلة

للنشر والتوزيع، جدة، ط4، (د.ت).

الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

دراز، محمد بن عبد الله، الأخلاق في القرآن، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط10، (د.ت).

الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، مكتبة الهداية للنشر، الدار البيضاء، ط2،

1432هـ.

الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط1، 1988م.

الزحيلي، وهبة مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر المعاصر، ط4، 1997م.

الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418.

الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التقاسير، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).

السباعي، مصطفى بن حسني، هكذا علمتني الحياة، المكتب الإسلامي، ط4، 1418هـ.

السلمان، عبد العزيز بن محمد، موارد الظمان لدروس الزمان، ط3، (د.ت).

السمرقندي، نصر بن محمد، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين، تحقيق: يوسف بدوي، دار ابن كثير للنشر، (د.ط)، (د.ت).

السيد، عزمي طه، وعدد من المؤلفين، مقرر الثقافة الإسلامية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط4، 2008م.

الشاربي، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، (د.ط) 1412هـ.

الشاعر، ناصر الدين، وعدد من المؤلفين، نظام الأسرة في الإسلام، تنسيق المادة: أيمن الدباغ، مطبعة النصر، نابلس، ط2، 2103م.

الشربيني، زكريا، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (د.ط)(د.ت).

صافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، ط4، 1418هـ.

صبيح، علي علي، أدب الطفولة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1،

1420هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، مقاصد الشريعة افسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار

النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1421هـ.

العامري، محمد بن محمد، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، تحقيق: عمر باشا، مطبوعات مجمع اللغة

العربية، دمشق، 1388هـ.

عبد السلام، عز الدين، تفسير القرآن، تحقيق: عبد الله الوع=هبي، دار ابن حزم، بيروت، (د.ط) 1996م.

عبد المطلب، أمة الله، رفقا بالقوارير . نصائح للأزواج، مكتبة المسجد النبوي.

عثمان، سمية السيد، أوقات مليئة بالحسنات، (د.ط)(د.ت).

العثيمين، محمد بن صالح، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، الرئاسة العامة للبحوث العلمية، (د.ط)،

1408هـ.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط1، 1422هـ.

العلامي، عبد الرحمن بن أحمد، تسليية النساء والرجال عند فقدان الأطفال، تحقيق: وليد العيان،
(د.ط)(د.ت).

العمرائي، محمد الكدي، فقه الأسرة المسلمة في المهاجر، إشراف: محمد الركوي، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط1، 2001م.

عويضة، محمد نصر الدين، فضل الخطاب في الزهد والرقائق والأدب، المكتبة الشاملة.

العسكري، الحسن بن عبد الله، الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1،
1428هـ.

عفيفي، محمد بن يوسف، الهدي النبوي في تربية البنات، الجامعة الإسرمية في المدينة المنورة، العدد
117، 1422 هـ.

عقلة، محمد، نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط3، (د.ت).

علوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1423هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

الفحل، ماهر ياسين، حرمة المسلم على المسلم، المكتبة الشاملة.

فريق العمل في موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مركز تفسير الدراسات القرآنية، الرياض،
2019م.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية،
بيروت، (د.ط)، 1418هـ.

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طفيس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384 هـ.

القنوجي، محمد صديق خان الحسيني، فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412 هـ.

الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)(د.ت).

الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426 هـ.

الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد عبد الرحمن، دار الكاب العلمية، بيروت، (د.ط)(د.ت).

المراغي، أحمد بن مصطفى، الإيضاح، مطبعة الباي الحلبي، مصر، ط1، 1994 م.

مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها، عالم الكتب، (د.ط)، 1425 هـ.

محمد، بكر بن عبد الله، حراسة الفضيلة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ط)، 1426 هـ.

المشتوي، محمد بن حمرد، سلوة الأحران، الإصدار الأول، (د.ط)(د.ت).

المقدسي، محمد بن مفلح الراميني، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، (د.ط)(د.ت).

المقدم، محمد أحمد، لماذا نصلي، موقع الشبكة الإسلامية.

المقدم، محمد أحمد، محو الأمية التربوية، موقع الشبكة الإسلامية.

المطريزي، ناصر بن عبد السيد، المغرب في ترتيب المعزب، دار الكتاب العربي، (د.ط)(د.ت).

مناهج جامعة المدينة المنورة، التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مطبعة دار صادر، بيروت، ط5، (د.ت).

النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر للنشر، ط25، 1428هـ.

الهالبي، مجدي، العودة إلى القرآن . لماذا وكيف، (د.ط)(د.ت).

وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف، الكويت، دار السلاسل،

1404هـ.

ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2، 1419هـ.



**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**THE RELATIONSHIP OF PARENTS AND
CHILDREN IN THE HOLY QURAN
AN OBJECTIVE STUDY**

**By
Bilal Salim "Muhammad Ali"**

**Supervisor
Dr. Hudhaifa Hilal Budeir**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master of Fundamental of Religion, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National
University, Nablus - Palestine.**

2024

THE RELATIONSHIP OF PARENTS AND CHILDREN IN THE HOLY QURAN AN OBJECTIVE STUDY

By
Bilal Salim "Muhammad Ali"
Supervisor
Dr. Hudhaifa Hilal Budeir

Abstract

This study presents a comprehensive definition of the father-son relationship. It explores key topics pertinent to this relationship, including its distinctive characteristics and the foundational principles that underpin it. Additionally, the study delineates the rights and responsibilities of fathers and sons towards one another, while contextualizing these aspects within the objectives of Sharia and the five essential necessities.

The study concluded with a summary of the narratives of the prophets, which articulated this comprehensive relationship with clarity and precision.

This study is organized into three chapters. The first chapter examines the concept of the relationship between fathers and sons as presented in the Holy Qur'an, detailing its characteristics and foundational elements across three sections and three key themes.

The second chapter addressed three topics concerning the relationship between fathers and sons, with the third topic focusing on the objectives of Sharia as they pertain to this relationship.

The third chapter comprises two sections that elucidate this relationship as depicted in Quranic narratives.

The study aimed to build a cohesive and strong society and protect it from weakness, and to know the foundations on which the relationship between fathers and sons is based, so that each of them is aware of his rights and duties, and the connection of the relationship between fathers and sons to the purposes of Sharia.

The importance of this study stems from the fact that it is a means of knowing the rights of fathers and sons towards each other, and how the Holy Qur'an organizes this relationship to achieve justice between them, based on righteousness, kindness, mercy,

and affection in word and deed.

One of the most important results of this study was that the relationship between fathers and sons affects the family and its cohesion by making the Islamic society cohesive and strong.

The researcher recommends further research and study on the subject of the objectives of Sharia and its connection to the relationship between fathers and sons

Keywords: parent-child relationship, Holy Qur'an, fathers and sons,